

الدكتور محمد بن علي الشواف والملك عبد العزيز

اتسمت شخصية الدكتور الشواف ببشاشة الوجه وطيب القلب وحسن الخلق، والإخلاص في الولاء، والصدق في الوفاء، والكثرة في العطاء، فهو ابن عصر واكب فيه أسوأ المصائب، التي حلت في أمته، وأصاب منها المقتل، وحَفَرَتْ هذه المصائب في جنب الدكتور الشواف وقلبه، أخاديد وجروحاً لا اندمال لها، إلاّ بالإيمان بالجهاد سبيلاً لتحرير البلاد والعباد، فكان رحمه الله في خنادق القتال مجاهداً، وفي أركان البيوت طبيباً معالجاً لإخوانه من جرحى معارك الجهاد. وعندما خبت شعلة الجهاد في بلاد الشام، بعد ثورة سنة ١٢٤٤ هـ - ١٩٢٥م، ضد الاستعمار الفرنسي، قصد هو وإخوانه المجاهدون، جيرة من إذا استجار به أحد أجاره، ذلك هو الملك عبد العزيز رحمه الله، فنزلوا أرضه، وحلوا بجواره، ولم ينس الدكتور الشواف لقاءه بالملك عبد العزيز عند دخوله جدة وترحيبه به، وكان يومها يعمل طبيباً، في كنف حكومة الملك علي بن الحسين، وقد خيَّرهُ الملك عبدالعزيز يومها في البقاء في إدارته التي يعمل فيها، لكن داعي الجهاد وقيام ثورة حماة موطن الدكتور الشواف، كفلاً للدكتور

عبد الكريم
إبراهيم
السمك*

* ليسانس تاريخ من
جامعة الإمام
محمد بن سعود
الإسلامية
باليابض عام
١٤٠١ هـ .
ماجستير في
التاريخ العربي
الحديث
والعاصر من
الجامعة نفسها
عام ١٤٠٥ هـ .
له عدة أبحاث
ومؤلفات
منشورة .

الشواف قبول عذره عند الملك عبد العزيز، في الالتحاق بالثورة على فرنسا، مع أخيه الدكتور خالد الخطيب. وعند انتهاء الثورة، قصد الدكتور الشواف الملك عبد العزيز في الرياض، عارضاً عليه الخدمة في هذه البلاد الكريمة مع من كان معه من إخوانه الأطباء المجاهدين، فأكرم الملك عبد العزيز نزلهم، مانحاً إياهم الأبوة والحنو والمحبة، وبادلوه بدورهم بصدق الوفاء والولاء. وقد وجد الملك عبد العزيز المتطلع لبناء نهضة صحية تواكب نهضة البناء للدولة، في الدكتور الشواف الأهلية العلمية في ابتعائه لدراسة طب العيون في تركيا، فابتعثه لها، ليعود من بعثته طبيباً للرمم حسبما كان يعرف يومها؛ إذ كانت البلاد في حاجة إلى مثل هذا النوع من التخصص، ومجلة الدرعية الغراء، التي سبق لها أن نشرت تراجم لكثير من الفضلاء والعلماء من رعييل من واكبوا الملك عبد العزيز في مسيرة نهضة البناء، على صفحاتها الذهبية المعطاء، فما هي ذا تتناول على صفحاتها هذه الترجمة لهذا الطبيب الفاضل الدكتور محمد بن علي الشواف رحمه الله تعالى، الذي أفضى إلى ربه وهو يمثل المملكة في أحد اللقاءات الدولية لطب العيون .

وإنني لأمل أن تكون هذه الدراسة، على صفحات هذه المجلة، باباً من أبواب الولوج في تأصيل دراسة تاريخ العلاقات السعودية الشامية في قديمها وحديثها. فمصادر تاريخ بلاد الشام المتنوعة والمتعددة، قاعدة عطاء في تاريخ هذه البلاد وولادة أمرها الكرام من الأسرة السعودية .

١ - العلاقات السعودية الشامية، النشأة والتاريخ :

زامن مولد الدولة السعودية الأولى، على يد مؤسسها الإمام محمد بن سعود، وبعد اتفاق البيعة مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدرعية، سنة ١١٥٧هـ - ١٧٤٤م، شهود بوادي الشام والعراق والجزيرة الفراتية، امتداداً سكانياً من عرب بوادي نجد

وشمال المملكة، من قبائل عنزة بتعدد بطونها، وقبيلة شمر وعشائرها، وقد استوطنت هذه القبائل والعشائر المهاجرة بوادي الشام والعراق، وغدت واحدة من لحمه نسيج البناء السكاني للمناطق التي استوطنتها، بالرغم من تواصلها مع بطونها الأم في البلاد السعودية، وكانت هذه القبائل تدفع زكاة أموالها ومواشيها إلى الدولة السعودية الأولى في تلك الأيام، وقد عملت هذه الهجرات على توثيق عرى التواصل ما بين نجد وبلاد الشام، التي كانت دار هجرة لعرب البلاد السعودية، كما غدت مركزاً لتجارة أبنائها، من أواسط نجد ولاسيما منهم أبناء منطقة القصيم، خلال القرون الثلاثة الماضية . وقد عرف هؤلاء التجار بـ (العقيلات) الذين مارسوا التجارة بين نجد وبلاد الشام، وبعدها توسعوا إلى العراق ومصر، وقد استوطن هؤلاء التجار من أهل نجد في مدن الشام، وتزاوجوا من أهلها، فجسدت هذه العلاقات التجارية والاجتماعية أسمى معاني التواصل في العلاقات الشامية السعودية، وكان لها الأثر الطيب في تأصيلها وتوثيقها في قديمها وحديثها .

وتأتي بعد هذا مسألة حملة الإمام سعود^(١) بن عبد العزيز بن محمد، سنة ١٢٢٥هـ - ١٨١٠م على بلاد الشام، وفي هذه الحملة، عمد الإمام سعود على أن تكون العلاقات الرسمية والدبلوماسية هي الأسلوب الأمثل في العلاقات، فمضى بمراسلة والي الشام يوسف^(٢)

(١) ثالث أئمة الدولة السعودية، وفي عهده اتسعت حدود الدولة السعودية ورسمت خارطتها الجغرافية إلى أكبر اتساع لها، وقد جاء حكمه من سنة (١٢١٨هـ = ١٢٣٠ = ١٨٠٥ - ١٨١٤م) وفي أواخر عهده كانت قد نزلت ميناء ينبع طلائع القوات المصرية بقيادة طوسون بن محمد علي باشا .
(٢) جاء تعيينه على ولاية الشام سنة ١٢٢٢هـ = ١٨٠٧م، وهو من أهالي مدينة حماة، وقد خدم صغيراً في كنف والي حماة، الملا إسماعيل الدالي باشا، ثم خدم في رعاية أحمد باشا الجزائر، بعد غياب عبد الله باشا العظم . انظر عبد الكريم إبراهيم السمك رسائل الإمام سعود لوالي الشام يوسف باشا . أحوال المعرفة - مكتبة الملك عبد العزيز العامة، العدد ١٤ رجب ١٤٢٠هـ، ص ٢٣ .

باشا، ولأول مرة توثق رسائله هذه بأختام الإمام الخاصة به، وقد حفظت لنا مصادر بلاد الشام صور هذه الأختام، وقد استفاد الإمام سعود في حملته هذه من ضعف السلطان العثماني يومها، بعد أن لمس الإمام سعود بعض التجاوب لحملته من والي الشام يوسف باشا، وذلك من خلال المراسلات فيما بينهما، وتأتي حملة الإمام سعود هذه في بعدها العسكري على بلاد الشام، كباب من أبواب العلاقات السعودية الشامية، في عهد الدولة السعودية الأولى.

وقد أشار المؤرخ المعاصر لأحداث بلاد الشام في مطلع النصف الأول من القرن التاسع عشر، الأمير حيدر أحمد الشهابي، بالقول إلى أن والي يوسف باشا قد استجاب لدعوة الإمام سعود، فحرم المحرمات وأغلق المقاهي وأمر الناس بالتمسك بالدين وإقامة الصلاة، وقد أورد الشهابي صورة لنص رسالة الإمام سعود ليوسف باشا، وكانت جواباً لرسالة مرسلة من يوسف باشا للإمام سعود، حملها له وفد الحجاج الشوام الذين استضافهم الإمام سعود، بعد أن أرسل لهم عشرة فرسان من قبيلة حرب لحمايتهم ومرافقتهم، ولعل هذه المراسلات^(١) قد طمأننت الإمام سعود في التوجه نحو الشام، فوصلت طلائع القوات السعودية إلى منطقة «مزيريب» إلى الجنوب من دمشق، وهي على بعد مرحلة عنها - أي مسيرة يوم واحد - ومن هذه المنطقة تم تبادل الرسائل مجدداً بين الإمام سعود ووالي الشام يوسف باشا، وفي غمرة هذا الواقع، غادر الإمام سعود الشام راجعاً إلى بلده الدرعية، بعد أن كلف عليان الضبيبي^(٢) بقيادة

(١) انظر رأسية كتابي الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد ورأسية كتاب قائده عليان الضبيبي لوالي الشام المذكور آنفاً .

(٢) وفي الوقت الذي لم تذكر المصادر السعودية عنه شيئاً، فالكثير من مصادر تاريخ بلاد الشام ذكرته في أحداث وحوادث سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م، والدكتور عبد الله العثيمين ذكر أسماء القواد العسكريين للإمام سعود وأبيه من قبله، لكنه لم يذكر عن الضبيبي شيئاً، وهذا =

القوات السعودية من بعده، ومن خلال تواجد الضيبي هذا، مقيماً على قارعة دمشق مع القوات السعودية، كان على تواصل رسمي مع والي الشام يوسف باشا، برسائل حفظتها لنا مصادر تاريخ بلاد الشام في تلك الفترة، وقد أشاد فيها الضيبي بنهج الدعوة السلفية في النهي عن المنهيات وتحريم المحرمات من بدع وضلالات ومنكرات، ولم تجد الدولة العثمانية، أمام هذا الحال، وبضغط من قناصل الدول الأوربية عليها؛ إلا السعي في القضاء على الحملة السعودية هذه، وذلك بتكليف والي دمشق يوسف باشا، لمحاربة القوات السعودية وطردها من جنوب دمشق، لكن يوسف باشا، كان قد تكلأ متظاهراً بقلّة الإمكانيات، في مواجهة القوات السعودية، الأمر الذي دفع بالسلطان العثماني إلى تعيين والي سليمان^(١) باشا والياً لدمشق

== لا يعني عدم وجود شخصية بهذا الاسم، لكون اسمه لم يرد في المصادر السعودية، ورسائله التي أرسلها لوالي الشام يوسف باشا هي الأساس في ذكر اسمه في مصادر تاريخ بلاد الشام، انظر مجلة أحوال المعرفة مرجع سبق ذكره ص (٢٣).

(١) تم تكليفه بولاية دمشق بعد خلع يوسف باشا، وملاحقته بسبب امتناعه عن حرب القوات السعودية، وقد أرسل الإمام سعود له رسالة محذراً إياه من عذاب الله بسبب تنكبه عن جادة الحق وابتعاده عن منهج الله . لكن الرسالة هذه والموقعة من أئمة الحرم المكي والمدني لم تصله، وهي موجودة لدى دارة الملك عبد العزيز. كان الأمير سلمان قد أهداها للدارة، وهي تعتبر من أقدم الوثائق السعودية النادرة، ويبدو أن محمد علي باشا الذي كان يكره سليمان باشا، قد قبل لجوء يوسف باشا، وقد رفع للباب العالي عدة رسائل لخلع سليمان باشا، والعضو عن يوسف كنج باشا، وقد حفظت لنا المحفوظات الملكية المصرية كثيراً من الرسائل الخاصة بالعضو عن يوسف باشا وخلع سليمان باشا . ولزيد من التوسع انظر د/ أسد رستم: المحفوظات الملكية المصرية، بيان بوثائق الشام وما يساعد على فهمها ويوضح مقاصدها في عهد محمد علي باشا الكبير . المجلد الأول (١٢٢٥هـ - ١٢٤٧هـ = ١٨١٠ - ١٨٣٢م) الوثائق (١-٣-٢) وفيها يطلب العفو عن يوسف باشا والوثائق (٦-٧-٩) يطالب بعزل سليمان باشا والي الجديد . الصفحات ١-٢-٣ - سنة الطبع ١٩٤٠م - الجمعية الجغرافية الملكية.

بدلاً من يوسف باشا، بعد أن خلع الأخير من ولاية دمشق، وقد لاحقته الدولة العثمانية بعد خلعه، لكن محمد علي باشا الذي كان يكره الوالي سليمان باشا، كان قد أدخل يوسف باشا في حمايته عندما استقبله في مصر، وقد مضى الوالي الجديد سليمان باشا بتجهيز القوات لحرب القوات السعودية، وطردها من بلدة مزيريب، فاستعان سليمان باشا في هذه الحملة، بحاكم جبل لبنان بشير الشهابي الثاني، وبعض زعماء القبائل والعشائر القاطنة في حوران ولبنان، لكن القوات السعودية أثرت الانسحاب على القتال، وكان ذلك بعد أشهر من إقامتها في منطقة مزيريب، وذلك سنة ١٢٢٥هـ / ١٨١٠م.

وعن هذه الحوادث والقضايا التي عرفتھا بلاد الشام مع الدولة السعودية الأولى في عهد الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد، كانت مصادر تاريخ بلاد الشام^(١) لتلك الفترة قد حفظت لنا هذه الحوادث، وهي مدونات الأديرة والكنائس، والتقارير القنصلية، والكتابات الرسمية، والمدونات الخاصة - أخبار الحملة السعودية على بلاد الشام، في أحداثها وحوادثها، وذلك في سياق الحديث عن الوهابية والوهابيين، وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الواقع الحربي، بين الدولة العثمانية والدولة السعودية، لم يؤثر إطلاقاً في العلاقات الشامية النجدية، سواء في العلاقات التجارية، أو في الهجرات الاستيطانية التي يقوم بها عرب بوادي شمال المملكة ونجد. وقد كان لهذا الماضي الكريم من الصلة والتواصل بين نجد والشام، دوره المباشر في ترسيخ العلاقات الشامية السعودية من قديمها إلى حديثها في عهد الملك المؤسس عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل سعود. ومع قيام المملكة العربية السعودية، وما شهدته على يد

(١) من المصادر الشامية كتاب الأمير حيدر الشهابي والخاص بأحمد باشا الجزائر والي عكا، ومن كتب القناصل الأوربيين كتاب القنصل الروسي قسطنطين بازيللي، ومن تقارير الإرساليات التنصيرية والرسائل الكنيسية يوجد كثير من هذه المصادر، لا يسعنا الحديث عنها في هذا المقام.

الملك المؤسس من نهضة واستقرار وبناء، أثر كثير من القبائل السعودية، التي سبق لها أن استوطنت بوادي الشام العودة إلى موطنها المملكة العربية السعودية، مع احتفاظها بما تمتلكه من أراضٍ وبيوت في بوادي الشام، كما لحق بهم كثير من أبناء التجار النجديين، الذين استوطنوا مدن الشام، وتزوجوا من أهلها، ليعيشوا جميعاً في ظل عهد البناء والرخاء، الذي تعيشه البلاد في ظل حكم الأسرة السعودية الكريمة .

٢ - العلاقات السعودية السورية في عهد الملك عبد العزيز :

تعود قصة العلاقات السعودية السورية مع الملك عبد العزيز في نشأتها إلى سنة «١٢٣٣هـ - ١٩١٤م»، وهي الفترة التي شهدت نمواً في النشاط السياسي والاستعماري البريطاني في المنطقة العربية؛ خاصة منها الشرقية؛ إذ رسمت دوائر الاستعمار الأوربي، مشروع استعمار الولايات العربية العثمانية وتجزئتها، ضمن ما يعرف بمشروع المسألة الشرقية، الذي يعود تاريخه إلى سنة «١٢٣٩هـ - ١٨٢٣م» على هامش مؤتمر (فيرونا) بين الدول الأوربية لسنة «١٢٣٩هـ - ١٨٢٣م» والذي تلاه مشروع قيصر روسيا نيقولا الأول، لتجزئة الدولة العثمانية واقتسامها مع بريطانيا، وقد جاء ذلك مع زيارة هذا القيصر لقتنصل بريطانيا السير جورج هاملتون سيمور، في مدينة بطرسبرج، وكان القيصر قد التقى فيه، في يومي التاسع والرابع عشر من شهر يناير / كانون الثاني من سنة ١٨٥٣م. ومن خلال هذا اللقاء كان القيصر قد استعمل كلمة "الرجل المريض" ومن يومها ولد هذا المصطلح السياسي ليستخدم في دوائر الغرب السياسية تحت اسم «رجل أوربا المريض»، ثم تلا المشروع الروسي، مشروع رئيس وزراء بريطانيا يومها، كامبل بانرمان سنة «١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م»، والذي زار المنطقة ليضع مشروعاً بريطانياً أوربياً جديداً، يقضي بضرورة زرع جسد غريب على أرض فلسطين، ليعمل على فصل المشرق العربي عن مغربه، وليكون هذا الجسد

في المستقبل هو دولة إسرائيل، ثم تلا ذلك اتفاقية سايكس بيكو سنة «١٣٣٥هـ - ١٩١٦م» تتويجاً للمشروعات الاستعمارية السابقة، وقد تمخض عن هذه الاتفاقية، مولد وعد بلفور في ٢ نوفمبر ١٩١٧م، الذي منح اليهود وطناً على أرض فلسطين .

ففي سنة «١٣٣٣هـ - ١٩١٤م»، ذهب الإنجليز إلى مصر للاتصال بالوطنيين السوريين، قبل اتصالهم بالشريف حسين، والسوريون الذين ذهب الإنجليز للتفاوض معهم والاتصال بهم، كان الغرض من ذلك هو القيام بثورة تحررية على الدولة العثمانية، بحيث يترتب على هذه الثورة الاستقلال عن الدولة العثمانية، فكان على رأس هذه الجماعة التي يتفاوض معها الإنجليز الشيخ محمد رشيد^(١) رضا، وكثير من إخوانه السوريين المقيمين في مصر، ولم يكن السوريون على ثقة بوعود الإنجليز هذه، بل أدركوا خطورة نياتهم في ولايات الدولة العثمانية العربية، خاصة منها الشرقية، فمن أجل ذلك لم يقطعوا الأمر التفاوضي مع الإنجليز بل علقوه، حتى يستشيروا الملوك والحكام العرب يومها، وكان أحد هؤلاء الملوك هو الملك عبد العزيز، وكان سلطان نجد يومها، وإمام اليمن يحيى حميد الدين، والملك الإدريسي ملك ليبيا، والشريف حسين بن علي شريف الحجاز، فقد أرسلوا لكل واحد منهم رسلاً، وقد تم تكليف الشيخ محب الدين^(٢) الخطيب في الذهاب إلى نجد، ولقاء الملك عبد العزيز

- (١) ١٢٨٢هـ - ١٣٥٤هـ = ١٨٦٥م - ١٩٣٥م) . صاحب جريدة (المنار) من مواليد طرابلس الشام غني عن التعريف في دعوته الإصلاحية ومناصرته للدعوة السلفية والملك عبد العزيز ولدولته الناهضة . خير الدين الزركلي، الأعلام المجلد السادس، ص ١٣٦ .
- (٢) من مواليد دمشق (شوال ١٢٠٣هـ - يوليو ١٨٨٦م) . توفي يوم الثلاثاء ٢١ شوال ١٣٨٩هـ - ٣٠ ديسمبر ١٩٦٩م، شيخ إصلاحي وطني أسس المطبعة والمكتبة السلفية وأصدر مجلة الفتح، ولمزيد من التوسع عنه رحمه الله انظر قصي محب الدين الخطيب . فهرس المكتبة السلفية القاهرة مصر، ص (٢) .

وبسط الأمر عليه وأخذ رأيَه، فقصد الشيخ محب الدين نجد عبر البحر، حيث قصد الهند ومنها عاد إلى نجد عبر ميناء البصرة، وقد كان برفقته شاب نجدى من أبناء المجوعة، وهو عبد العزيز^(١) العتيق، الذي كان طالب علم شرعي يدرس في القاهرة، في دار الدعوة والإرشاد، وقد حال دون وصولهما إلى نجد، اعتقالهما من قبل الإنجليز وسجنهما بين البصرة والفاو مدة سبعة أشهر، ثم أفرج عنهما بوساطة الوجيه التاجر أحمد الصانع وعادا إلى مصر، وتلك هي أولى محاولات التواصل مع الملك عبد العزيز من قبل الساسة والزعماء السوريين .

أدرك الإنجليز أن لا فائدة لهم في التواصل مع الساسة السوريين، في ظل هذا الواقع القائم على التخوف والحذر والشك من قبل الساسة السوريين تجاههم، بعد أن أدركوا سوء نياتهم تجاه بلادهم - بلاد الشام -، وأمام هذا التريث للوطنيين والساسة السوريين، أدار الإنجليز ظهورهم عنهم، وذلك بسبب تعليقهم للمحادثات معهم حتى تعود الرسل المرسله، والوقوف على رأي هؤلاء الملوك، فالإنجليز لم يعد لديهم وقت لانتظار موقف السوريين في التفاوض معهم، بعد أن وجدوا في الشريف حسين بن علي حاجتهم التي يطمحون إليها ، وأدركوا أن جميع مشروعاتهم الاستعمارية ستتحقق من خلال هذه القناة، وقد تحقق لهم ذلك، ونتج عن هذه المحادثات أعظم المصائب التي ألت في بلاد الشام، فاعتبر الوطنيون السوريون أن ما أصاب بلادهم من مصائب، إنما كان بسبب هذه العلاقات والاتفاقات البريطانية مع الشريف حسين، وذلك بعد أن وعدوه بأن يكون ملكاً على البلاد العربية المشرقية

(١) لم أجد له ترجمة ولعل أهله من المجوعة - بلدة حرمة - يذكرونه، هذا وقد ذكر الشيخ محب الدين الخطيب اسمه في مذكراته التي نشرها في مجلد التمدن الإسلامي بدمشق على شكل حلقات، وقد جاء الحديث بلسان الشيخ محب الدين عن رفيقه في الحلقة (٤) وص (٦٩٢) مجلة التمدن الإسلامي دمشق، وقد ذكر ترجمة له في كتاب أعلام من الكويت، تحت اسم العتيقي.

كلها مع جزيرة العرب، وقد أطلق الشريف حسين رصاصة الثورة في الخامس من حزيران لسنة «١٣٣٥هـ - ١٩١٦م» ليكون من أولى نتائجها، تمزيق وحدة بلاد الشام واستعمارها، ليقام على أقدس جزء منها دولة يهودية، بموجب وعد بلفور في ٢ نوفمبر ١٩١٧م، والذي ولد من رحم الثورة العربية، وسقطت بلاد الشام مقطعة الأوصال بين بريطانيا وفرنسا بموجب اتفاقية سايكس بيكو لسنة «١٣٣٥هـ - ١٩١٦م»، وكانت سوريا من نصيب الاستعمار الفرنسي، فدخلها واحتل عاصمتها دمشق بعد معركة ميسلون في ٢٥ تموز لسنة ١٩٢٠م، وكان على رأس القوات الفرنسية المتجهة إلى دمشق، قائد الحملة الفرنسية الجنرال غورو.

في ظل هذا الواقع الدولي والعربي، كان الملك عبد العزيز في سعي وجهاد دائمين لبناء دولته، بما يحققه من نجاحات عسكرية وسياسية على معظم أراضي الجزيرة العربية، وقد فتحت له أراضيها، متقدماً من نصر إلى نصر، ففدا رحمه الله عند أهل الشام والعرب قدوة وبطلاً، بما حققه من نجاحات على أرض الواقع، وهم أحوج ما يكونون إليه في المشورة والمساعدة. ففي السنوات الأولى من الاستعمار الفرنسي لسوريا، كانت فكرة الثورة على فرنسا قد تبلورت لدى الوطنيين السوريين، ولم يكن أمامهم تجاه هذا الأمر سوى التواصل مع الملك عبد العزيز، في التشاور معه وطلب المساعدة منه، ولأجل ذلك ذهب رئيس الحركة الوطنية السورية، الشيخ كامل^(١)

(١) ١٢٩٠هـ - ١٣٧٣هـ = ١٨٧٣م - ١٩٥٤م الشيخ محمد كامل القصاب زعيم وطني من رواد الفكر الإسلامي السلفي . تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، غني عن التعريف، كان صاحب صلة ومكانة خاصة عند الملك عبد العزيز، أناط به الملك عبد العزيز رعاية المؤتمر الإسلامي الذي عقد في مكة المكرمة بعد توحيد الحجاز ونجد، كما أناط به إدارة التعليم في الحجاز، بعدها قصد فلسطين فكان قاعدة الصلة مع الحركة الوطنية بالنسبة إلى الملك عبد العزيز، فبينه وبين الملك كثير من الرسائل، هذا وقد نشرت دارة الملك عبدالعزيز بعضاً منها في نشرتها الشهرية . الزركلي / الأعلام المجلد ٧ / ص ١٣ .

القصاب في مد جسور التواصل مع الملك عبد العزيز ؛ فانتدب من أجل ذلك كلاً من الدكتور محمد حمدي حمودة^(١) والمهندس خالد^(٢) الحكيم للسفر إلى نجد ولقاء الملك عبد العزيز، وكان ذلك سنة «١٣٤١هـ - ١٩٢٢م»، وبعد انتهاء زيارتهما هذه، طلب منهما الملك عبد العزيز البقاء عنده، فاختر الدكتور حمودة البقاء إلى جوار الملك، بينما عاد المهندس خالد الحكيم إلى سوريا، كما قصد الشيخ القصاب بنفسه، ومعه القائد أركان حرب يحيى^(٣) حياتي، إمام اليمن يحيى حميد الدين للتشاور معه . ومن هنا فقد كانت بعثة الدكتور محمد حمودة، والمهندس خالد الحكيم أول محاولة في الصلة والتواصل، فيما بين الحركة الوطنية السورية والملك عبد العزيز، في ظل استعمار فرنسا لبلاد الشام، ثم توالى الاتصالات وتنازلت مع الملك عبد العزيز، ففي سنة «١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م» ، تم إرسال يوسف^(٤) يا سين إلى الرياض ، موفداً كذلك من الحركة الوطنية السورية - حزب الاستقلال العربي -، التي كان يرأسها الشيخ كامل القصاب، وقد حفظت لنا مذكرات أمين سعيد قصة

(١) من أهالي دمشق الشام، قبل من الملك عبد العزيز عرضه عليه بالبقاء في جواره فأثر البقاء، في جوار الملك عبد العزيز حتى وفاته رحمه الله .

(٢) ١٢٩٥هـ - ١٣٦٣هـ = ١٨٧٨م - ١٩٤٤م . مهندس عسكري . من مفكري العرب ومجاهديهم، ولد بجمص وتعلم في الأستاذة، وتولى أعمال إنشاء الخط الحديدي وللمزيد من خدماته للملك عبد العزيز انظر: الزركلي الأعلام . المجلد الثاني ص ٣٠٠ .

(٣) ترجم له أدهم الجندي في كتابه تاريخ الثورات السورية فقال عنه : إنه كان عسكرياً تخرج في الكلية العسكرية في إستانبول . حارب القوات الفرنسية . حكم عليه بالإعدام، بعد العفو عنه عاد إلى سوريا وأصيب بمرض عصبي أدى إلى وفاته . أدهم الجندي مرجع سبق ذكره ص ٥٨٥ .

(٤) (١٣٠٩هـ - ١٣٨١هـ = ١٨٩٢م - ١٩٦٢م) يوسف بن محمد ياسين، من كبار العاملين في خدمة الملك عبد العزيز ودولته أيام نهضة المملكة . ولد بمدينة اللاذقية بسوريا، وهو غني عن التعريف ولزيد من التوسع انظر : الزركلي / الأعلام المجلد ٨ / ص ٢٥٣ .

سفر الشيخ يوسف ياسين، عندما كان طالباً في السنة الأولى بمدرسة الحقوق في دمشق، فقد أعطوه (٢٠) ليرة ذهبية حتى يصل بها إلى نجد، دفع منها القوتلي (٨) ليرات، بينما دفع الشيخ كامل (٢) ليرة، وما تبقى تم جمعه من أبناء الحركة الوطنية. وقد قصد يوسف ياسين نجد عبر بغداد، ومنها إلى البصرة، ومن البصرة قصد الرياض، حيث استقبله الملك عبد العزيز وأحسن وفادته، ومن خلال وجوده في جوار الملك عبد العزيز، كان الشيخ يوسف ياسين يقوم بتعليم بعض أبناء الملك عبد العزيز القراءة والكتابة، كما كان يقوم بتحرير الكتب الخاصة للملك عبد العزيز رحمه الله . وبعد انتهاء الثورة السورية الكبرى، التي شهدتها معظم مدن سوريا ضد الاستعمار الفرنسي سنة ١٣٤٥هـ - ١٩٢٥م، وبعد أن أخدمتها السلطات الاستعمارية الفرنسية، بأقسى وأبشع الأساليب الوحشية والدموية، من فتك وهتك وخراب ودمار لمدن الشام ولاسيما منها دمشق وحماة، فقد قصد الوطنيون من المجاهدين السوريين الذين أصدرت عليهم السلطات الفرنسية حكماً غيابياً بالإعدام، البلاد السعودية وجوار الملك عبد العزيز؛ وذلك بعد أن طردتهم القوات البريطانية من منطقة الأزرق، القريبة من الحدود السورية فنزلوا قريات الملح، ووادي السرحان، والقريات، وهم في هذا الوضع والحال أصبحوا في كفالة ورعاية الملك عبد العزيز، حيث دخلوا في جواره، وكان من بين الذين نزلوا وادي السرحان، صاحب الترجمة الدكتور محمد علي الشواف .

ولعل زيارة شكري^(١) القوتلي إلى الحجاز بقصد الحج، حيث كان بمعيته

(١) (١٣٠٨هـ - ١٣٨٧هـ = ١٨٩١م - ١٩٦٧م) الرئيس شكري القوتلي غني عن التعريف في صداقته للملك عبد العزيز وحب الملك له، كان صالحاً وطنياً مخلصاً . ولزيد من التعريف به انظر : الزركلي / الأعلام - المجلد ٣، ص ١٧٣ .

صبري^(١) العسلي، كان القصد منها غير أداء فريضة الحج، تهنئة الملك عبد العزيز بعد توحيد الحجاز ونجد لتكون اسم دولته بعد هذا التوحيد، - مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها - وإضافة إلى هذه التهنئة، فقد تحدث القوتلي مع الملك عبد العزيز في موضوع رعاية وحماية المجاهدين السوريين، الذين أصبحوا مقيمين في جواره، في منطقة وادي السرحان والقريات، من البلاد السعودية، كما تم الاتفاق بين القوتلي والملك^(٢) عبد العزيز، على أن يدعم الملك عبد العزيز الثورة السورية بالسلاح، وذلك عن طريق تأمينه شراءً من ألمانيا وإنزاله في ميناء ينبع السعودي، ومن ثم يتم نقله وإرساله بواسطة التجار النجديين والجمالة السعوديين، الذين هم أهل علم بخطوط السفر عبر البوادي إلى سوريا، وبهذا يتم إيصال السلاح للثوار السوريين إلى أرض الثورة في سوريا، بدعم من الملك عبد العزيز رحمه الله .

وقد مضى الملك عبد العزيز في توثيق صلته بسوريا والسوريين في ظل استعمار فرنسا لسوريا، وذلك بفتحه وكالة رسمية - قنصلية أو^(٣) سفارة - لبلاده في دمشق سنة (١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م)، لتوثيق عرى التواصل مع سوريا وشعبها وعيّن

(١) (١٣٢١هـ - ١٣٢٩هـ = ١٩٠٣م - ١٩٧٧م) رئيس الوزراء السوري. ولد بدمشق. شارك في الثورة السورية الكبرى، شغل كثيراً من المناصب. عيّن نائباً لرئيس الجمهورية العربية المتحدة ثم استقال ليعتزل السياسة . إتمام الأعلام، ذيل كتاب الأعلام، الزركلي، طبعة ثانية د / نزار أباطة - محمد رياض الصلح . دار صادر . بيروت ص ١٩٩ .

(٢) هذا الاتفاق كان أمين سعيد قد أوردته في مذكراته لسنة ١٩٢٦م ؛ إذ كان هو مقيماً في مصر ولعله كان قد سمعه من الرئيس شكري القوتلي عند مروره وزيارته لمصر والتقاءه بإخوانه السوريين فيها، بعد انتهاء الثورة السورية الكبرى، وعن استجارة الثوار السوريين بالملك عبد العزيز، انظر ما كتبه فهد المارك في كتابه النفيس : من شيم الملك عبد العزيز . الجزء الثاني ص ٢٧٨ .

(٣) أمين سعيد تاريخ الدولة السعودية - المجلد الثاني - عهد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل - توزيع دار الكاتب العربي بيروت الطبعة الأولى ص (٢٩٧) .

من أجل ذلك وكيلاً عليها، وهو الشيخ فوزان^(١) السابق رحمه الله، الذي كان مقيماً بدمشق كتاجر من تجار العقيلات، والذي كان محبوباً من قبل السوريين. وعلى هامش المؤتمر الإسلامي الذي طلب الملك عبد العزيز عقده في مكة المكرمة بعد توحيد الحجاز ونجد، في سنة (١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م) فقد وجه الملك عبد العزيز الدعوة لكثير من علماء المسلمين ومنهم عدد من علماء الشام، بقصد التشاور في شؤون الحرمين الشريفين، وعرف منهم الشيخ محمد رشيد^(٢) رضا، والشيخ كامل القصاب، الذي عينه مديراً عاماً للتعليم في الحجاز، بعد انتهاء المؤتمر، والشيخ بدر الدين الحسني^(٣) عالم ومحدث بلاد الشام رحمه الله.

ومن قبيل التواصل مع الملك عبد العزيز وسياسته العربية والإسلامية، كان أمين سعيد قد أشار في مذكراته إلى أن الشيخ القصاب، كان قد طلب من الملك عبد العزيز أن يتولى الحكم والملك على سوريا، وذلك في سنة (١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م)

(١) (١٢٧٥هـ - ١٣٧٣هـ = ١٨٥٨م - ١٩٥٤م) فوزان بن سابق بن فوزان آل عثمان البريدي القصيمي الدوسري النجدي. معمر من فضلاء الحنابلة. له في الأوساط الاجتماعية والعلمية مكانة مرموقة، من تجار نجد الذين تواصلوا مع الشام. غني عن التعريف، لمزيد من التوسع عنه رحمه الله انظر الزركلي. الأعلام. المجلد الخامس ص ١٦٢.

(٢) (١٢٨٢هـ - ١٣٥٤هـ = ١٨٦٥م - ١٩٣٥م) غني عن التعريف في مذهبه الإصلاحية ونهجه على المنهج السلفي الذي أشاد الملك عبد العزيز دولته عليه، لذلك كان رشيد رضا من أخلص الناس وقوفاً إلى جانب الملك عبد العزيز وهو صاحب مجلة (المنار)، لمزيد من التوسع انظر: الزركلي / الأعلام المجلد السادس ص ١٢٦.

(٣) (١٢٦٧هـ - ١٣٥٤هـ = ١٨٥١م - ١٩٣٥م) هو محمد بن يوسف المغربي، البيهاني بدر الدين الحسني، محدث بلاد الشام. غني عن التعريف، والد رئيس الجمهورية العربية السورية الشيخ تاج الدين الحسني. انظر الملحق (٢) وخبر دعوة الملك عبد العزيز له في رسالة خاصة من ولده تاج الدين إلى أمين سعيد حول هذه المسألة. ولمزيد من التوسع عنه رحمه الله انظر: الزركلي الأعلام المجلد السابع ص ١٥٧.

بعد أن استدعاه الملك عبد العزيز من حيفا للتباحث بشأن سوريا، لكن الملك عبد العزيز اعتذر للشيخ القصاب عن هذا الطلب، متمنياً لسوريا وأهلها الخير، وكانت هذه الدعوة إلى الملك عبد العزيز من الشيخ القصاب، قد جاءت على هامش دعوة فرنسا للشعب السوري لانتخاب جمعية وطنية^(١) سورية. وقد تجددت القناعة لدى السوريين بمسألة تولية الأمير فيصل بن عبد العزيز وتعيينه ملكاً على سوريا، فعلى هامش حج سنة ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م، التقى الملك عبد العزيز في جمع من الساسة والإعلاميين السوريين، وكان الوفد الإعلامي مؤلفاً من معروف الأرنؤوط، صاحب جريدة (فتى العرب)، ونجيب الريس صاحب جريدة (القبس)، وتيسير ظبيان صاحب جريدة (الجزيرة)^(٢)، ونصوح بابيل صاحب (الأيام)، فطلب الوفد من الملك عبد العزيز، تكليف ولده فيصل بأن يقبل أن يكون ملكاً على سوريا بعد موافقة جلالته، لكن الملك عبد العزيز اعتذر لهم، متمنياً لسوريا كل خير.

وبعد عشر سنوات من طلب الشيخ القصاب هذا، لتعيين الأمير فيصل ملكاً على سوريا، كان المندوب السامي الفرنسي بدمشق، المسيو غابرييل^(٣) "بيو"، سنة ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م قد أدرك، ولاء الشعب السوري ومحبهه للملك عبد العزيز، فتقدم إلى حكومته الفرنسية بمشروع تعيين صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز

(١) أمين سعيد . تاريخ الدولة السعودية المجلد الثاني مرجع سبق ذكره ص ٢٩٩ .

(٢) نصوح بابيل . كتابه : صحافة وسياسة سورية في القرن العشرين . مطبوعات دار الريس لندن ١٩٨٧م . ص ٩٢ .

(٣) غابرييل بيو المفوض السامي الفرنسي الثامن في سوريا، حيث استلم المفوضية ٥ كانون الثاني ١٩٣٩م إلى ٢٥ تشرين الثاني ١٩٤٠م، وقد أقيل من منصبه هذا بتاريخ ١ كانون الأول ١٩٤٠م، وسافر بعد ذلك بـ (١١) يوماً . منير الريس - كتاب يوم القومية العربية بجلاء الجيوش الأجنبية عن سوريا . كتاب تاريخي صدر عن جريدة بردي دمشق ص ٢٢ .

ملكاً على سوريا، وكان رئيس الحكومة الفرنسية يومها المسيو "دلاديه"، وقد بين المسيو "بيو"، له، بأن مصلحة فرنسا في سوريا، قد تجدها في هذا المشروع، وهي :

١ - قبول الشعب السوري فيه ملكاً عليهم .

٢ - سيترتب على تعيينه حل المشكلة السورية الفرنسية .

٣ - توثيق وتعميق عرى العلاقات السعودية الفرنسية .

وقد وافق الرئيس الفرنسي "دلاديه" على هذا المشروع ، وعاد "بيو" إلى بيروت ، لكن قيام الحرب العالمية الثانية كانت قد ألغت هذا المشروع، بعد أن أدرك الفرنسيون حب السوريين للملك عبد العزيز ودولته، ومن حب السوريين للملك عبد العزيز وبلده وشعبه ، فقد راعهم ما شهدته كل من السعودية واليمن من نزاع حدودي أدى إلى قيام حرب بينهما، سنة (١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م)، فمن أجل ذلك، شكل السوريون وفداً رسمياً لزيارة السعودية على وجه السرعة ، وقد عرف الوفد بـ "وفد الصحة"^(١) حيث وُجِدَ فيه ثلاثة أطباء، وكان الغرض منه علاج الجرحى من الطرفين ، إضافة إلى المساهمة في المصالحة فيما بين الدولتين. وقد ترأس الوفد جميل مردم بك، وكان الوفد مؤلفاً من ثلاثة أطباء، وصحفيين، ومن الأطباء كان الدكتور توفيق الشيشكلي والدكتور سعدي عرابي والدكتور مدحت البيطار، ومحمد مردم ورشيد الملوحي ومحمود تحسين ومنير الرئيس، فأحسن الملك استقبالهم وأكرمهم غاية التكريم، شاكراً إياهم على مشاعرهم النبيلة، هذا ويوجد في دارة الملك عبد العزيز، صورة للملك عبد العزيز مع هذا الوفد حيث استضافهم الملك، في وادي "لياً" في مدينة الطائف، وقد كُتِبَ أسفلها "الملك عبد العزيز والوفد

(١) منير الرئيس . الكتاب الذهبي للثورات الوطنية في المشرق العربي - ثورة فلسطين ١٩٣٦م، دمشق ١٩٧٦م ، ص ١٢١ .

السوري" ولم تُعرّف الصورة بأعضاء الوفد، ولا غرضهم من زيارة الملك عبد العزيز، لكن الصحفي منير الريس وأحد المشاركين في هذا الوفد ذكر في كتابه الذهبي، قصة الوفد وسفره إلى السعودية، وحقيقة أهدافه من هذه الزيارة، بعد أن كانت قصته غير معلومة، لا في هدفها، ولا في أسماء أعضائها، لدى دارة الملك عبد العزيز من خلال العبارة المكتوبة أسفل الصورة .

وقد أصبح الملك عبد العزيز، بالنسبة إلى الساسة السوريين في ظل واقع ما تعيشه سوريا، موضع مشورة لهم في سياسة شؤون بلادهم، فكانوا على صلة دائمة وتواصل معه، وقد نزلت الحركة الوطنية السورية على مجموعة نصائح الملك عبد العزيز لها، وذلك بالابتعاد عن الأحلاف المشبوهة، والتكتلات الدولية التي لا يرجى منها خير، كحلف بغداد، ومشروع الهلال الخصيب، وسوريا الكبرى، وذلك سنة (١٣٦٣هـ - ١٩٤٣م)، وسنة (١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م)، بعد أن ناهض الملك عبد العزيز جميع هذه المشروعات^(١)، وحاربها دفاعاً عن سوريا وحفاظاً عليها، وقبل أن يقوم حسني الزعيم بانقلابه خدمة لهذه الأحلاف، كان الملك عبد العزيز، قد حذر الرئيس شكري القوتلي من هذا الانقلاب، الذي سيقوم به حسني الزعيم، والذي لن يكون لمصلحة سوريا، وإنما خدمة لهذه الأحلاف، ولما وقع الانقلاب في ٣٠ آذار ١٩٤٩م، على يد العقيد الزعيم غضب الملك عبد العزيز، وأصابه الخوف على سوريا

(١) عن مناهضة الملك عبد العزيز سياسة الأحلاف، التي تريد بسوريا السوء فقد أشار إلى هذا الأمر كثير من الساسة والكتاب، فقد استطاع الملك مناهضة المشروعات المشبوهة ضد سوريا، بإقامة تحالف وإن لم يكن رسمياً على شكل محور ثلاثي، عواصمه الرياض القاهرة دمشق . ولمزيد من هذا انظر كتاب : أندرو راثمل . الصراع على سوريا من سنة ١٩٤٩ - ١٩٦٠م (قصة الحرب السرية في الشرق الأوسط) ترجمة محمد النجار - الأهلية للنشر والتوزيع ١٩٩٧م الأردن ص (٢٧) .

ومستقبلها، وفي التاسع من نيسان؛ أي بعد الانقلاب بـ (٩) أيام قال الملك عبد العزيز عن الانقلاب "إنه كارثة للعرب" وبين أنه لن يتسامح مع أي تدخل في سوريا، وأن الانقلاب^(١) قد فتح باباً للشر لن يغلق على سوريا .

ولذلك لا تجد قضية سورية داخلية فيها مصلحة لسوريا وشعبها، إلا وتجد الملك عبد العزيز قد وضع لمساته فيها، ففي سنة (١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م) ساهم الملك بنجاح شكري القوتلي في الرئاسة السورية، كما استضاف الرئيس القوتلي بنهاية الحرب العالمية الثانية، واتفقا على مواقف سياسية ثابتة تجاه القضايا العربية، وعندما قصد الملك عبد العزيز مصر لمقابلة الرئيس الأمريكي روزفلت، ورئيس وزراء بريطانيا تشرشل، كانت هذه الزيارة هي الأولى لمصر بالنسبة إلى الملك عبد العزيز، والمؤرخة في ٢ ربيع الأول (١٣٦٤هـ - ١٤ فبراير ١٩٤٥م)؛ إذ التقى فيها الملك عبد العزيز الرئيس شكري القوتلي الذي كان موجوداً في مصر، بناءً على اتفاق مسبق مع الملك عبد العزيز، وقد كان غرضهما من هذه الزيارة، مقابلة كل من رئيس وزراء بريطانيا تشرشل، والرئيس الأمريكي روزفلت، بغرض التباحث معهما عن القضايا العربية الشائكة، كقضية فلسطين، ومسألة استقلال سوريا عن فرنسا، واتفقا على أن يتكلم القوتلي في قضية سوريا واستقلالها عن فرنسا، ويتكلم الملك عبد العزيز^(٢) عن القضية الفلسطينية، وضرورة إيجاد حل عادل لها .

وقد تحقق لسوريا الاستقلال بعد ذلك، بموجب الوعود التي قطعها كل من الرئيس الأمريكي، روزفلت، ورئيس وزراء بريطانيا تشرشل، وعلى هامش هذا الاستقلال،

(١) المرجع نفسه ص (٣٩) .
(٢) عن هذا الاتفاق بين العاهلين كان أمين سعيد قد أتى على ذكره في مذكراته، كما ذكره في كتابه الخاص بالملك عبد العزيز - المجلد الثاني ص ٣٠ .

الذي تم إعلانه في ١٧ نيسان عام ١٩٤٦م، فقد أرسل الملك عبد العزيز وفداً رسمياً كبيراً نيابة عنه لتمثيله في حفل الاستقلال السوري، بقيادة ابنه الأمير فيصل وزير الخارجية، والأمير منصور بن عبد العزيز، والسيد بشير السعداوي مستشار الملك والشيخ يوسف يا سين مدير الخارجية، والشيخ فؤاد حمزة الوزير المفوض، والشيخ صالح شطا النائب الثاني لرئيس مجلس الشورى، وعبد الرؤوف الصبان أمين مكة المكرمة، والشيخ عبد الله الشيبني عضو مجلس الشورى، والشيخ عبيد المدني عضو مجلس الشورى والوزير إبراهيم السلطان والشيخ محمد الهزازي رئيس بلدية جدة، وقد ارتجل الأمير فيصل بن عبد العزيز هذه الكلمة نيابة عن أبيه فقال:

أيها السادة :

يحق لبلد حمل لواء الحرية إلى العالم أن يقدس الحرية، ويحق لشعب قدم للناس أروع أمثلة البطولة والمجد أن يكرم الأبطال والعظماء، فمن ذلك البلد الذي أنجب سيد المجاهدين صلوات الله عليه، والذي حرر الإنسانية وحطم قيود العبودية، فكان المحرر الأول للأمم والشعوب، من ذلك البلد الحافل بالأمجاد والمفاخر، نحمل إلى الأمة السورية في مهرجانها التاريخي، تحية حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز، الذي اختاره الله لخدمة العرب ونصرة الإسلام، وإنها لتحية تحمل في تضاعيفها شعور أمة وتقدير شعب، هذا وإننا نتضرع إلى الله تعالى أن يسدد خطى العرب للطريق السوي، ويزيد في تضامنهم ووحدتهم قوة، يكلؤهم بعين عنايته ورعايته، إنه قريب مجيب، فلتحيا الأمة السورية، ولتحيا الوحدة^(١) العربية .

وفي باب المساعدات المالية، فقد قدم الملك عبد العزيز لسوريا قرضاً بمبلغ ستة ملايين دولار، سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م؛ وذلك على شكل عقد تجاري واقتصادي.

(١) منير الرئيس . يوم القومية العربية مرجع سبق ذكره ص ٨٦ .

كما رسم الملك عبد العزيز ثوابت السياسة السعودية تجاه سوريا، لتكون وصية سلف عظيم لخلف كريم من أبنائه البررة . ومن باب التواصل مع سوريا فقد زارها ولي هذه الأمير سعود؛ وذلك سنة ١٩٥٢م، وكان برفقته وفد رسمي عالي المستوى في عهد الرئيس فوزي سلو، ونائبه أديب الشيشكلي، وكان بصحبة ولي العهد الدكتور محمد علي الشواف صاحب الترجمة والدراسة، وعدد كبير من الأمراء والمستشارين، ومنهم الأمير مساعد بن عبد الرحمن، حيث زار فيها الوفد السعودي جميع المدن السورية التي احتفلت بمقدمه، وقد بلغت أيام الزيارة ثمانية^(١) أيام، وبعد انتهاء الزيارة قصد الوفد لبنان لزيارته .

تلك هي طبيعة العلاقات السعودية السورية، والتي كان قد رسمها الملك عبد العزيز رحمه الله، على أساس من الثوابت المشتركة فيما بين البلدين، فقد جعل سوريا بسياسته هذه، على أنها تمثل عمقاً إستراتيجياً بالنسبة إلى المملكة العربية السعودية، ولذلك لا يمكن التفريط فيها ولا التنازل عنها، فكانت سياسة الملك هذه تجاه سوريا رسالة من سلف عظيم لخلف كريم، تجسدت فيها أصول وثوابت العلاقات السعودية السورية، التي رسمها ووضعها الملك عبد العزيز رحمه الله .

٣ - الدكتور محمد علي الشواف:

"نسبه وأصوله التي يرجع إليها، المولد والنشأة"

أ - نسبه وأصوله التي يرجع إليها :

يرجع الدكتور محمد علي الشواف في نسبه إلى القبائل ذات الأصول القيسية، والتي ترجع إلى نجد موطناً، وذلك قبل استيطانها العراق، وأسرتة قد

(١) فهد المارك . كتابه : صدى زيارة شبل الجزيرة إلى سوريا . الطبعة الأولى المطبعة الهاشمية دمشق ١٩٥٣م، وكانت في الأول من نيسان عام ١٩٥٣م .

استوطنت مدينة "حماة"، في العقود الأولى من القرن الثاني عشر للهجرة، بما يتفق مع العقود الأولى للقرن الثامن عشر للميلاد ظناً وتقديراً، فكانت هجرتهم هذه من الموصل، وذلك على هامش الحروب الفارسية العثمانية المؤرخة بتاريخ ١١٣١هـ - ١١٥٦هـ بما يوافق ١٧١٨م - ١٧٤٣م، والذي يوثق ذلك أن الدكتور الشواف من أبناء الجيل الخامس ممن استوطن "حماة" من أسرة آل الشواف، فهو محمد علي بن خالد ابن محمد بن مصطفى بن محمد، وبحساب عمر الأجيال، فإن أسرة آل الشواف تكون قد استوطنت حماة قبل مولد الدكتور بمئة وخمسين سنة تقريباً والله أعلم .

استوطن آل الشواف مدينة الموصل، وذلك قبل اتفاقية سايكس بيكو، بعد انتقالهم إليها من منطقة حران، كما استوطن بعضهم في جزيرة ابن عمر القريبة منها، وأسرة آل الشواف الحموية تلتقي بأسرة آل الشواف العراقية في أرومة واحدة، فقد جمعها النسب وفرقتها المواطن . فمن خلال تتبع الآثار العراقية التي تتكلم عن عشائر العراق وأصولها، فقد تبين لي أن آل الشواف أهل حاضرة، وذلك بما عرف عنهم في أنهم أهل يسر وعلم وتجارة، فقد خرج من هذه الأسرة في العراق كثير من العلماء والسياسة والقضاة والوزراء والعسكريين، وقد خصت كتب الترجمة في حديثها عن علماء العراق، ترجمة عالَمين فاضلين من علماء العراق هما: الشيخ عبد الفتاح شواف زاده، والشيخ عبد العزيز الشواف، وقد عرف مسجد الشيخ عبد القادر الكيلاني اثنين من آل الشواف البغداديين كانا يدرسان فيه، وهما عبد السلام الشواف المتوفى مطلع القرن العشرين والشيخ عبد الملك الشواف الذي خلفه في التدريس، وفي تاريخنا الذي نعيشه، عرف العراق كثيراً من أبناء هذه الأسرة ممن تصدروا لكثير من المناصب والمراكز الكبيرة، ولم تكن أسرة آل الشواف

الحموية بأقل حظٍ من الأسر العراقية، فقد كانوا - أي الحمويون - أصحاب علم وتجارة، أسبغت عليهم المكانة اللائقة في مجتمعهم الحموي، وأسرة الشواف منتشرة في كثير من المدن العراقية، كما هي موجودة في أكثر من بلدة أو مدينة في سوريا، وقد كتب عن أصولهم المحامي عباس^(١) الغزاوي في كتابه عشائر العراق، وما كتبه كان قد سأل عنه الشيخ عجمي السعدون من شيوخ قبائل المنتفق، حيث أفاده بأن نسبهم هو قيس، وعنه نقل صاحب كتاب تاريخ كبيس^(٢). وكما كان جميلاً لو أن المرحوم عبد اللطيف الشواف، صاحب كتاب شخصيات^(٣) نافذة، والذي ترجم في هذا الكتاب لخمسة وجوه عراقية ذات شأن، ترجع في أصولها إلى نجد، وأشار في كتابه هذا إلى أن جميع أحفاد هؤلاء الشخصيات، عادوا إلى موطنهم الأول المملكة العربية السعودية، فلو أنه ترجم لأسرته الكريمة، لكان قد أنهى كثيراً من التساؤلات والاستفسارات، بعد أن تبين لي أن لديه القدرة على ذلك، لما يتمتع به من أهلية علمية ومكانة اجتماعية، ولعله اكتفى بالقليل مما يعرفه عن أسرته، لكنها أغنت بعض الشيء عن الكثير، فهو الذي ذكر نسب أسرته إلى العشائر الكروية القيسية

(١) المحامي عباس الغزاوي كتاب عشائر العراق . الجزء الرابع ص ٢٠١ .

(٢) كلمة كبيس تعني في لغة أهل العراق من يمارس التجارة تنقلاً بين البوادي للبيع على أعراب البوادي، وبلدة كبيس هذه، تكونت بفعل تجمع كثير من الأسر التي تمارس هذه المهنة، ولذلك فإن بعضاً من آل الشواف سكنوا كبيس، وليس الكل، ولهذا فإن بعضهم كبيسيون، وليس الكل فكبيس تكونت كبلدة نتيجة لوحدة خصوصية نشاط سكانها في عملهم التجاري. وهذا هو الرأي الصحيح، ولمزيد من التوسع انظر كتاب : تاريخ كبيس تأليف سلمان حميد الكبيسي . الجزء الأول ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م ص ١١١ .

(٣) عبد اللطيف الشواف صاحب كتاب شخصيات نافذة، كان قاضياً ببغداد، وتولى كثيراً من المناصب الرسمية العليا. لمزيد من التوسع انظر كتاب : عبد اللطيف الشواف. شخصيات نافذة - ٠ ط ١ - لندن : دار كوفان للنشر ، ١٩٩٣م ص ٨٤ .

التي قطنت منطقة حران، في أول استيطان لها في بلاد العراق، ومنها انتشرت في مدن العراق وسوريا والمنطقة الشرقية من السعودية. ويشير عبد اللطيف الشواف كذلك، إلى أن آل الشواف الذين يسكنون الشرقية في مصر يرجعون في أصولهم إلى أرومة عربية، فعاداتهم وسماتهم وأخلاقهم تشير إلى أصولهم العربية التي يرجعون إليها، ولهم هرم باسمهم يعرف بهرم الشواف^(١)، وقد أشار إلى أنه لا يعلم إن كان لهم - أي شواف مصر - صلة بالأسرة الأم العراقية .

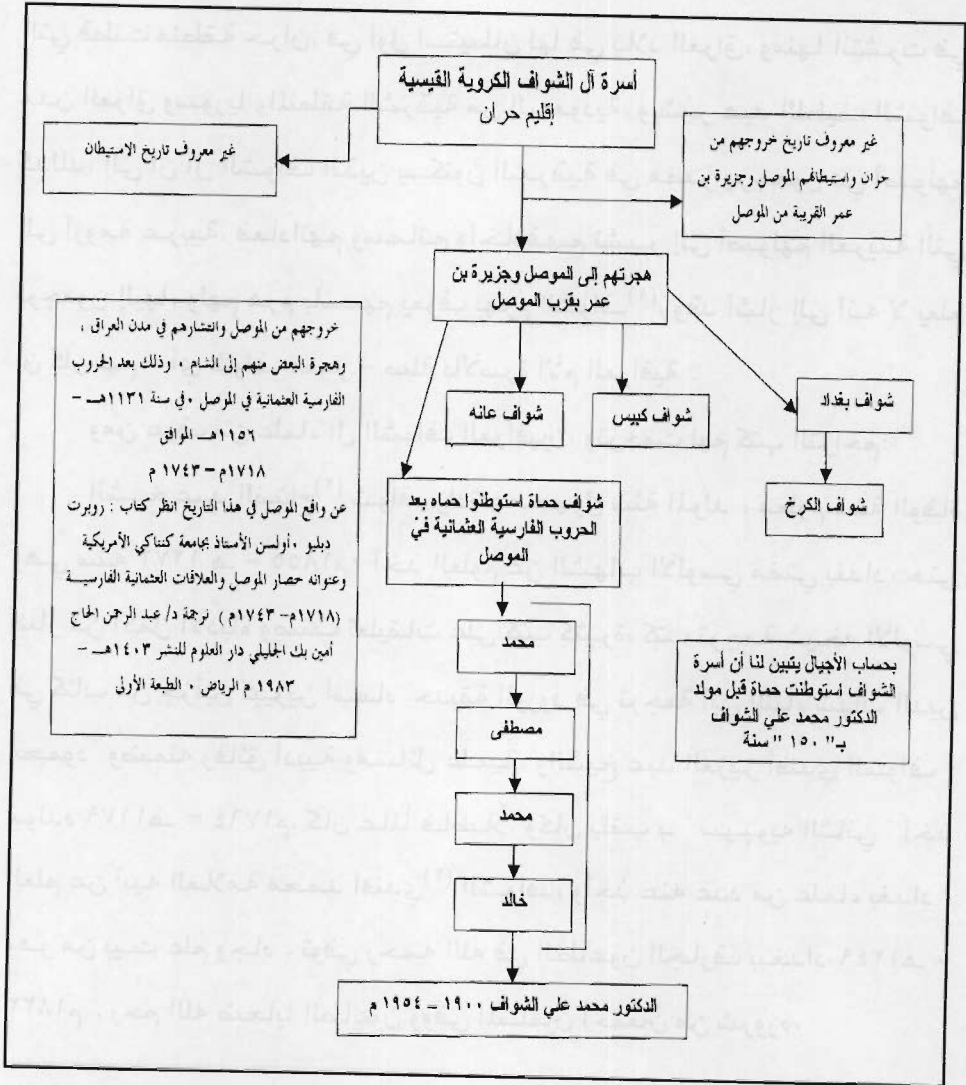
ومن عرف من علماء آل الشواف العراقيين، وترجمت لهم كتب التراجم:

الشيخ عبد الفتاح^(٢) شواف زادة : مجهول سنة المولد ، معلوم سنة الوفاة وهي سنة ١٢٧٢ هـ - ١٨٥٥ م. أخذ العلوم عن الشهاب الألوسي مفتي بغداد، حتى صار من أكمل الأدباء وصنف تعليقات على كتب كثيرة، كتب ترجمة شيخه الألوسي في كتاب من جزأين كبيرين أسماه "حديقة الورود في ترجمة أبي الشتاء شهاب الدين محمود" وضمنه رقائق أدبية ومسائل علمية، والشيخ عبد العزيز أفندي الشواف : مولده ١١٧٩ هـ = ١٧٦٤ م، كان عالماً فاضلاً، وكان يلقب بـ "سيبويه الثاني" أخذ العلم عن أبيه العلامة محمد أفندي^(٣) الشواف، وأخذ عنه عدد من علماء بغداد ، وهو من بيت علم وجاه . توفي رحمه الله في الطاعون الجارف ببغداد ١٢٤٩ هـ - ١٨٣٣ م . رحم الله ضحايا الطاعون ووقى المسلمين أجمعين من شروره .

(١) المرجع نفسه ص ٨٦ .

(٢) خليل مردم كتاب أعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع : قدم له عدنان مردم بك لجنة التراث طبعة أولى ١٩٧١ م ، ص ١٨٣ .

(٣) العلامة أحمد تيمور باشا . اعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث - القاهرة : مصر : دار الآفاق العربية ، ص ٣٢٥ .



يلاحظ من البيان التوضيحي أن الدكتور محمد علي الشواف هو من أبناء الجيل الخامس من أسرة الشواف التي استوطنت حماة، فلو ذهبنا في حساب عمر الأجيال التي سبقت، لتبين لنا أن استيطان آل الشواف مدينة حماة، كان تقريباً قبل ولادته بمائة وخمسين سنة، والله أعلم .

ب - النشأة والمولد : « ١٣١٨ هـ - ١٣٧٤/٩/٣٠ هـ = ١٩٠٠ م - ١٩٥٤/٦/٢ م »

ولد الدكتور محمد علي بن خالد الشواف بمدينة حماة المعروفة والمشهورة في أواسط سوريا، وذلك سنة "١٣١٨ هـ - ١٩٠٠ م"، وتلقى دراسته الابتدائية والمتوسطة في موطنه مدينة حماة، ولتعذر وجود المرحلة الثانوية فيها، قصد مدينة حمص المجاورة لها، ليدرس فيها المرحلة الثانوية، وذلك في كلية الاتحاد الوطني القائمة فيها، وكان برفقته من ترجم له ترجمة جميلة في كتابه النفيس، "تاريخ الثورات السورية" الأستاذ أدهم^(١) الجندي، وقد أشار الجندي في ترجمته، إلى أن أسرة الدكتور الشواف، تعود في نسبها إلى أسرة الشواف العراقية ذات الأصول النجدية، وكانت أسرة الشواف قد وفدت إلى حماة، واستوطنتها قبل مولد الدكتور بمائة وخمسين سنة تقريباً . كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

وبعد حصول الدكتور الشواف على الشهادة الثانوية، قصد دمشق والتحق بمدرسة الطب فيها، وبعد تخرجه فيها، قصد الحجاز مع الدكتور خالد^(٢) الخطيب للعمل في ظل حكومة الملك علي^(٣) بن الحسين سنة ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م، ولما تم

(١) ١٣٢٠-١٣٩٧ هـ = ١٩٠٢ م - ١٩٧٧ م . مؤرخ وباحث من أهل الفضل . حمصي المولد والموطن . ترك كثيراً من الكتب المعنية بالتراجم . ولزيد من التوسع عنه انظر : كتاب إتمام الأعلام - مرجع سبق ذكره ص ٥٨ .

(٢) ١٣١٨ هـ - ١٣٥١ هـ = ١٩٠٠ - ١٩٣٣ م . طبيب وطني حموي المولد والموطن، من رجال الثورة السورية . حكم عليه بالإعدام . قصد الأردن وفيها كانت وفاته رحمه الله، ونقل جثمانه لموطنه حماة فدفن فيها . الزركلي الأعلام . مجلد ٢، ص ٢٩٨ .

(٣) ١٢٩٨ هـ - ١٣٥٣ هـ = ١٨٨١ م - ١٩٣٥ م، آخر من سمي ملكاً من الهاشمين على الحجاز، كان أكبر أولاد الشريف حسين، ولزيد من المعلومات عنه انظر : الزركلي الأعلام . المجلد ٤ ص ٢٨٢ .

ضم الحجاز من قبل الملك عبد العزيز ، ودخل جدة صباح يوم الخميس ٨ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ - ٢٤ ديسمبر ١٩٢٥م. كان الملك عبد العزيز قد طلب من جميع العاملين الموجودين في جدة من غير أهلها ، البقاء في وظائفهم وأعمالهم ، ولما كانت الثورة السورية على الاستعمار الفرنسي ، خاصة في موطنه مدينة حماة ، قد اشتعلت وبدت بوارقها بقيادة القائد^(١) فوزي القاوقجي والقائد سعيد^(٢) العاص من أبناء حماة ، أثر الالتحاق بالثورة بعد اعتذاره للملك عبد العزيز ، في عدم قدرته على البقاء في الحجاز بسبب قيام الثورة في حماة ، فقصده حماة وبصحبه أخوه الدكتور خالد الخطيب ، وذلك للالتحاق بالثورة ومساندة القائدين فوزي القاوقجي وسعيد العاص ، وبعد أن خمدت نار الثورة بمدينة حماة نتيجة للفظائع الوحشية التي ارتكبتها القوات الفرنسية وما رافقها من دمار لمبانيها وقتل لأبنائها ونسائها ، قصد الدكتور الشواف جبل العرب وغوطة دمشق؛ لينضم إلى صف المجاهدين هناك ، حيث وصل إلى السويداء وعمل مع الدكتور عبد الرحمن

(١) ١٣٥٥هـ - ١٣٩٨هـ = ١٨٨٧م - ١٩٧٧م. من أبناء طرابلس الشام ومن عائلات العربية ، انتظم في السلك العسكري في العهد العثماني ، بعد الحرب العالمية الثانية عاد إلى سوريا ، ودخل في الفرق السورية التي أنشأها الفرنسيون ، كان برتبة ضابط . قائد الثورة الكبرى في حماة ضد الفرنسيين سنة ١٩٢٥م ، وشارك في حرب فلسطين . صدر ضده حكم بالإعدام . انظر كتاب : الموسوعة الفلسطينية الجزء (٣) ص (٤٨٠) أدهم الجندي مرجع سبق ذكره ص ٥٥٣ .

(٢) ١٢٩٩هـ - ١٣٥٥هـ = ١٨٨٢م - ١٩٣٦م . شهيد ثورة فلسطين عام ١٩٣٦م رحمه الله ، حموي المولد والموطن . درس بالكلية الحربية في إستانبول . جاهد ضد الفرنسيين خلال الثورة السورية الكبرى . حكم عليه بالإعدام ، ولمزيد من المعلومات انظر : الزركلي . الأعلام . المجلد ٦ ص ١٤٣ .

الشهبندر في معالجة الجرحى ، وشارك في معارك الغوطة مع إخوانه^(١) المجاهدين، ونتيجة لجهاده الكبير في هذه الثورة، فقد صدر عليه حكم غيابي بالإعدام، وبسبب ذلك غادر سوريا مع إخوانه المجاهدين بعد أن خمدت نار الثورة في سوريا، حيث نزلوا في الأزرق، ومن الأزرق طردهم الإنجليز، فقصدوا جميعاً الجوف ووادي السرحان والقريات، ومن خلال إقامة الدكتور الشواف ووجوده في القريات مع إخوانه المجاهدين السوريين، كان قد قصد الملك عبد العزيز في الرياض، عارضاً عليه العمل في ظل مملكته بوصفه طبيباً، فأحسن الملك استقباله، وأكرم وفادته وأنزله المنزلة الكريمة بما تتفق ومكانته العلمية والاجتماعية والوطنية والجهادية .

ذلك هو الدكتور محمد علي الشواف، الذي كان واحداً من أربعة أطباء ممن شاركوا في ثورة حماة، فكان الشهيد الأول منهم الدكتور صالح^(٢) قنباز، الذي استشهد وهو يلبي نداء الواجب، في إسعافه للجرحى من القصف الفرنسي بالطائرات

(١) انظر الملحق رقم (١) والخاص بصورة المجاهدين في غوطة دمشق حيث كان بينهم الدكتور

الشواف وسعيد العاص والشهيد عز الدين الجزائري .

(٢) ١٢٩٩هـ - ١٣٥٩هـ = ١٨٨٢م - ١٩٤٠م . طبيب خطيب مفوه من أهل دمشق موطناً وولادة.

درس الطب في الجامعة الأمريكية في بيروت وتخرج فيها سنة ١٩٠٤م، بعد سقوط حكم الإعدام عنه عاد من مصر سنة ١٩٣٨م، وبينما هو في عيادته دخل عليه ثلاثة أشخاص

فقتلوه، ولمزيد من المعلومات عنه انظر : الزركلي . الأعلام . المجلد ٣ ، ص ٣٠٨ .

(٣) ١٣٠٢هـ - ١٣٤٤هـ = ١٨٨٥م . طبيب حموي المولد والموطن قتله الفرنسيون وهو يعالج الجرحى

في ثورة عام ١٩٢٥هـ في حماة، وكان من أعضاء المجمع العلمي بدمشق . ولمزيد من المعلومات

انظر : الزركلي . الأعلام . المجلد ٣ ، ص ١٩٦ .

والمدافع لمدينة حماة سنة (١٣٤٤هـ - ١٩٢٥هـ) والثاني الدكتور توفيق^(٣) الشيشكلي، والثالث الدكتور خالد^(١) الخطيب، الذي سبق الحديث عنه في أول لقاء له مع الملك عبد العزيز، وكان بمعيته الدكتور الشواف في مدينة جدة بعد خضوعها للملك عبدالعزيز، ورابع هؤلاء الأطباء هو المترجم له الدكتور الشواف رحمه الله .

هذا وقد كانت وفاة الدكتور محمد علي الشواف بمدينة الإسكندرية، عندما كان يشارك في مصر في مؤتمر دولي عقد بتلك المدينة، وكان معنياً بالرعاية الصحية لطب العيون والارتقاء به، فكان فيه ممثلاً ومندوباً عن المملكة العربية السعودية، ومن خلال مشاركته في هذا المؤتمر، كانت قد ظهرت على يده بقعة التهايبية على شكل دمل ملتهبة، فأعطي لمعالجتها حقنة بنسلين، سببت له صدمة تحسسية أدت إلى وفاته رحمه الله، وكان ذلك آخر أيام رمضان سنة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤/٦/٢م، وتم دفنه بمدينة الإسكندرية، تاركاً وراءه أسرة كريمة تتكون من ثمانية من الأبناء؛ ثلاث من البنات، وخمسة من الذكور . وهم على التوالي :

- ١ - زياد الذي عمل سفيراً للمملكة العربية السعودية في كثيرٍ من دول العالم، وكان آخر منصب له حتى وفاته، فقد تم تعيينه سفيراً للمملكة العربية السعودية في كندا وكانت وفاته في صباح يوم السبت ٢٧ المحرم سنة ١٤١١هـ الموافق ١٩٩٠/٨/١٨م في لندن، ونقل جثمانه إلى المدينة المنورة ودفن فيها رحمه الله .
- ٢ - الدكتور المهندس طارق : صاحب مكتب الخدمات الاستشارية السعودي (سعودي كونسلت)، ترك مكتبه هذا جليل الخدمات وأعظم البصمات في النهضة والتطوير

(١) ١٣٠١هـ - ١٣٥٩هـ = ١٨٨٤م - ١٩٤٠م . طبيب وطني حموي المولد والموطن . تخرج في مدرسة الطب العثمانية بدمشق ١٩١١م . زعيم حماة السياسي حتى وفاته رحمه الله . شارك في الوفد الذي قصد السعودية لإصلاح ذات البين بين السعودية واليمن، ولزيد من المعلومات انظر : أدهم الجندي *مرجع سبق ذكره، ص ٢٥٩ .

العمراني والإنشائي الذي شهدته وعرفته المملكة، وما زال على العطاء قائماً.

٣ - سعود : له دكتوراة في الحقوق ومستشار قانوني بوزارة الخارجية السعودية ورجل أعمال .

٤ - حسان : كان على وظيفة سفير لدى الخارجية السعودية، وآخر وظيفة له كانت مديراً عاماً لمكتب سمو وزير الخارجية ثم تم تعيينه مستشاراً في سفارة المملكة العربية السعودية في الولايات المتحدة الأمريكية .

٥ - خالد : رجل أعمال .

فقد جسد هؤلاء الأبناء الخمسة في خدماتهم الجليلة لبلدهم المملكة العربية السعودية، سيرة والدهم الكريمة، الدكتور محمد علي الشواف رحمه الله، في كريم وعظيم خدماته الجليلة لهذه البلاد المباركة، فكانت مسيرة خلف كريم لسلف عظيم. رسم لأبنائه السير على خطى الولاء والوفاء لولاة أمر هذه البلاد، وأهلها الكرام .

ويبدو أن حياة الاغتراب والبعد عن الأحباب والأصحاب والأهل والبلد، قد عاشها الدكتور الشواف رحمه الله، في الكثير من سني حياته، حتى اختطفه الموت بعيداً عن أهله وبلده وإخوانه وأبنائه، فكانت وفاته في دار غربة له، ويوم أن اختاره الله لجواره ، كان عمره أربعاً وخمسين سنة، قضى منها أربعاً وعشرين سنة في جوار الملك عبد العزيز، جسد فيها أسمى معاني الولاء والوفاء للملكه ومملكته، هذا من جهة ومن جهة ثانية فإننا نجد الحياة التي عاشها الدكتور الشواف رحمه الله، كانت أشبه بحياة درامية اختلطت بشيء من الألم والمعاناة والأسى، وذلك بسبب ما قامت عليه هذه الحياة من واقع أليم عاشه في حياة الاغتراب والجهد، والبعد عن الأهل والأصحاب والأولاد، فكان هذا الواقع كثيراً ما يبعث الحنين والشوق في قلب الدكتور محمد علي الشواف رحمه الله، مختلطاً بشيء من الألم والمعاناة في قلبه،

محركاً معه شعر الحنين، تجسيداً لواقع ألم البعد عن الوطن وأهله، ففي قصيدة له اسمها «حنين» خص فيها بلده حماة، حيث قال في مطلع بيتها الأول :

إلى وادي حماة يحن قلبي حنين المرضعات إلى بنيها

فقد مات رحمه الله بين غربتين، الغربية الأولى : عن أهله وبلده وموطنه الأول سوريا، والثانية : عن بلده الثاني الذي نال فيه شرف الجوار والعمل بمعية الملك عبد العزيز رحمه الله، فكان من أوائل رواد النهضة الصحية في هذا البلد العظيم.

٤ - النهضة الصحية في عهد الملك عبد العزيز :

يعتبر الدكتور محمد علي الشواف واحداً من الطلائع الأولى من أبناء الشام الأطباء، الذين عملوا في كنف الملك عبد العزيز، وزامنوا نهضة دولته التي أشادها، والجانب الصحي واحد منها، وقد كانت وفادته على الملك عبد العزيز بعد انتهاء الثورة السورية الكبرى، ووصوله إلى وادي السرحان، من أراضي المملكة العربية السعودية، وذلك سنة (١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م)، مع من كان معه من إخوانه المجاهدين السوريين، وكان منهم الدكتور مدحت شيخ^(١) الأرض والدكتور أمين^(٢) رويحة، وغيرهم من الأطباء كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وقد لمس منهم الملك طيب الوفاء وعظيم المحبة والولاء، فبادلهم الملك بحسن الرعاية وسمو التكريم، وبقدومهم أدرك

(١) مدحت شيخ الأرض . كان من أوائل الأطباء الذين وصلوا إلى الرياض وقد رافق الملك عبد العزيز في رحلاته الداخلية بعد توحيد الحجاز ونجد، وكتب عن هذه الرحلة واصفاً إياها بوصف دقيق وقد نشرت في جريدة أم القرى ثم جمعت مقالاته ونشرت في كتاب تحت عنوان : الرحلات الملكية .

(٢) أمين رويحة . طبيب من مواليد مدينة اللاذقية. عرف بجهاده ضد الفرنسيين، ومشاركاته في معارك فلسطين فهو وطني محبوب في الأوساط السياسية . استضافه الملك عبد العزيز مع من استضافهم من السوريين الذين دخلوا في جواره . فهد المارك . من شيم الملك عبد العزيز - ط ٢٠٠ - ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ج ٢ ، ص (٢٧٣) .

الملك عبد العزيز وجوب الاهتمام بالواقع الصحي والنهوض به في عموم البلاد، بقصد العناية بخدمة المواطنين والحجاج والمعتمرين. وقد نشطت الخدمات الطبية عما كانت عليه، وذلك بتوجيهات من الملك عبد العزيز بذاته، فمن أجل ذلك، ولحاجة البلاد إلى طب العيون - الذي كان يعرف يومها بطب الرمد - ابتعث الملك عبد العزيز، الدكتور محمد علي الشواف إلى تركيا، للتخصص في طب العيون، وذلك سنة (١٣٥٥هـ - ١٩٣٤م)، وبعد انتهاء تخصصه عاد إلى الرياض، وبعودته وجد أن الإدارة الصحية في المملكة، قد بدأت تتوسع في خدماتها وأنشطتها الطبية، وذلك في كثير من المجالات، فتم تقديم أحسن الخدمات للمواطنين والحجاج والوافدين. كلف الملك عبد العزيز الدكتور محمد علي الشواف بعد عودته من تركيا، بالمشاركة في إدارة صحة مدينة الرياض، ولم يقف الأمر من الملك عبد العزيز، عند هذا التكليف للدكتور الشواف، فتم تعيينه مندوباً مفوضاً عن المملكة في المنتديات والمؤتمرات الصحية الدولية، خاصة ما كان منها في طب العيون، وقد تعددت مشاركاته هذه، والتي كانت تعقد بشكل دوري من كل عام في مصر، إما في القاهرة وإما في الإسكندرية، وقد بلغت مشاركات المملكة أكثر من عشرين لقاء أو مشاركة حتى وفاته، وكان المندوب والناطق والممثل الرسمي للمملكة في هذه المشاركات، والتي كان آخرها لقاء سنة (١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م)، حيث كانت منيته وهو يشارك في هذا المؤتمر، بعد أن أصيب بصدمة تحسسية نتيجة أخذه لحقنة بنسلين، كما سبقت الإشارة إلى ذلك .. وجريدة أم^(١) القرى ذاكرة تاريخ وأحداث المملكة، حفظت لنا

(١) صدر العدد الأول منها في ١٥ جمادى الأولى ١٣٤٣هـ الموافق ١٢ ديسمبر ١٩٢٤م. الكشف التحليلي لصحيفة أم القرى - إعداد دارة الملك عبد العزيز - الجزء الأول، ص ١١. (٢)

مجمل أخبار وأنشطة الدكتور محمد علي الشواف، ودوره المباشر في سبيل النهضة الصحية في المملكة العربية السعودية والارتقاء بها، وكان أول مؤتمر حضره الدكتور الشواف في القاهرة، ممثلاً ومندوباً عن الحكومة السعودية، وامتدت أيامه من (٢ ديسمبر إلى ١٤ منه في سنة ١٩٣٧م)، وبعد هذا المؤتمر، تعددت مشاركات الدكتور محمد علي الشواف في غيره من المؤتمرات واللقاءات الصحية الدولية وهذا بيان بها :

المؤتمر الأول :

حفظ لنا كثير من أعداد جريدة أم القرى^(١) خبر هذا المؤتمر الدولي لطب العيون وكان المؤتمر الخامس عشر الذي شهدته أرض مصر، حيث وجهت الدعوة للمملكة العربية السعودية للمشاركة فيه، فتم تكليف الدكتور محمد علي الشواف، من قبل الملك عبد العزيز لتمثيل المملكة فيه، فسافر الدكتور الشواف إلى مصر على متن الطائرة " البراق " التابعة لشركة الطيران المصرية، وقد تحدث عن هذا المؤتمر الصحفي والمؤرخ أمين سعيد الذي التقى بالدكتور الشواف على هامش المؤتمر، فأهداه صورته^(٢) الخاصة فيه ، كاتباً على ظهرها بخط يده وتوقيعه، إهداءه هذا

(١) شارك الدكتور محمد علي الشواف في المؤتمر الدولي الخامس عشر لطب العيون بالقاهرة، وقد أوردت مشاركته الأعداد التالية من جريدة أم القرى . فالعدد (٦٣٤) فيها حمل خبر الدعوة من الحكومة المصرية للمملكة العربية السعودية، والعدد (٦٦٩) منها، حمل خبر تكليف الدكتور من الملك عبد العزيز، والعدد (٦٧٧) منها، حمل خبر سفر الدكتور الشواف على متن الطائرة المصرية (البراق) من الحجاز إلى القاهرة والعدد (٦٨٤) منها، خبر عودة الدكتور الشواف من مصر إلى الحجاز، ولمزيد من التوسع عن قاعدة أرقام الأعداد هذه أنصح بالرجوع إلى الكشاف التحليلي . المصدر السابق .

(٢) انظر الملحق (٢) .

لأمين سعيد (ذكرى الرجوع إلى الوطن، للأخ الصديق الحميم، والأستاذ الكريم، أمين بك سعيد المحترم).

وأورد لنا أمين سعيد في مجلته الرابطة^(١) العربية كذلك ، خبرين عن الدكتور الشواف؛ أحدهما يخص مشاركته بالمؤتمر الدولي لطب العيون - الرمد -، حيث قدم له الدكتور محمد علي الشواف كلمته الكريمة، التي تلاها ممثلاً للحكومة السعودية أمام المشاركين في المؤتمر، فكان له - أي أمين سعيد - قصب السبق في نشرها في مجلته الرابطة العربية، والثاني خبر سفر الدكتور الشواف لموطنه مدينة حماة، بعد غياب عنها دام (١٢) سنة، وسقوط حكم الإعدام عنه من السلطات الفرنسية في سوريا، بموجب معاهدة ١٩٣٦م بين فرنسا وسوريا، وقد جاءت الكلمة التي تلاها الدكتور الشواف في المؤتمر، على الشكل التالي، كما حفظتها لنا مجلة^(٢) الرابطة العربية، والتي تنشر لأول مرة في مجلة الدرعية ، بعد نشرها مسبقاً في مجلة الرابطة العربية، وهي كما جاءت نصاً :

ختام مؤتمر الرمد الدولي، وخطبة الدكتور الشواف المندوب السعودي :

- انتهى في الأسبوع الماضي مؤتمر الرمد الدولي وختم أبحاثه، وتفرق أعضاؤه عائدين إلى بلادهم . ونثبت هنا نص الخطبة البليغة التي خطبها الدكتور محمد علي الشواف، مندوب الحكومة السعودية في الحفلة الختامية، فهي الكلمة العربية الوحيدة التي ألقى في المؤتمر قال :

(١) بالنسبة إلى أمين سعيد فهو غني عن التعريف؛ لكون مجلة الرابطة العربية، صدر العدد الأول منها في ٦ ربيع الأول ١٣٥٥هـ - ٢٧ مايو ١٩٣٧م القاهرة .

(٢) انظر الملحق (٣) من مجلة الرابطة العربية صفحة ٨٠ السنة الثانية القاهرة يوم الأربعاء ١٩ شوال ١٣٥٦هـ = ديسمبر ١٩٣٧م ، ص (٣٠).

سيداتني ! سادتي :

من دواعي سروري وافتخاري، أن تشرفت بالتعرف والاجتماع إلى حضرات الأساتذة والزملاء الكرام، الذين يمثلون الأسرة الطبية الرمدية الدولية، موفداً من قبل حكومة صاحب الجلالة ملك البلاد العربية السعودية، تلك الحكومة، التي سلكت طريق التعاون الاجتماعي الدولي منذ نشأتها الأولى، حرصاً منها على مصلحة السلام العام والرخاء المشترك ! .

كان ابتهاجي بالغاً حده، عندما تبلفت الدعوة، وعلمت أن مكان انعقاد المؤتمر الرمدي الدولي الخامس عشر، سيكون في وادي النيل في مصر العزيزة، التي كانت من سالف العصور ركناً قوياً من أعظم أركان الحضارة والمدنية . ولا تزال ولن تزال كذلك إن شاء الله !

رأينا جميعاً أيها السادة، مآثر مصر الدالة على عظمة خلودها ! ولنترك الآن الهرم وأبا الهول ووادي الملوك في الصمت العميق، وهي تشير إلى مدينة أربعين قرناً خلت ! ونقف قليلاً في ردهات مستشفى الجيزة وفي ساحة مستشفى قلاوون، وفي أروقة مستشفى روض الفرج، وفي حدائق مخيم القلعة، لنشاهد المخابر الرمدية وغرف الكشف الطبي ودور العمليات الجراحية وكلها مجهزة بأحسن ما وصل إليه الفن الحديث ، ثم لنعد إلى المؤسسة الطبية الكبيرة "قصر العيني" وما يتبعها من مستشفيات، جهزت بأكمل المعدات، وأحسن الآلات والأدوات .

كل ذلك شاهد ناطق، وبرهان ساطع على أن مصر العربية الناهضة، ما برحت مناراً للعلم وهي تسير بخطوات متزنة، مؤدية للإنسانية رسالتها الصالحة النافعة رسالة إنقاذ البشر مما يعانيه من بؤس الألم وشقاء المرض !

إن لمصر، مصدرين عظيمين من مصادر القوة والنشاط : الأول ما تركه لها أسلافها الأولون من الأسس القويمة للحضارة، والثاني ما هو كامن في غريزة كل مصري من الطموح إلى المجد، والتحلي بالعلم الصحيح، والقيام بالعمل المثمر .
إن الحكومة العربية السعودية، التي تشترك لأول مرة، في مثل هذا المؤتمر، لا تكتم حرصها على أن تكون دوماً وأبداً عاملاً قوياً ، من عوامل الكفاح ضد كل ما يهدد الإنسانية من أخطار أياً كان نوعها .

وسأحمل معي في العودة إلى بلادي العربية، ما استفدته شخصياً من هذا الاجتماع العلمي، للمثابرة على مكافحة الأمراض الرمدية بجد وإقدام، ويسرني أن أعلن في هذه المناسبة، أن البلاد العربية السعودية ليست موطن وباء التراخوما، كما كان يظن بعض الرمديين وكما كتب بعضهم، أن الحجاج ينقلون منها الرمد الحبيبي إلى البلاد الأخرى .

وأرجو أن تتيح لي فرصة الاجتماع القادم، لتقديم تقرير مفصل مع خارطة تبين المناطق المنحصر فيها هذا المرض .

وفي الختام، وقبل أن أودعكم على أمل اللقاء، أعلن عظيم شكري للجارة الشقيقة، الحكومة المصرية، وعلى رأسها حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول المعظم ، كما أنني أشكر حضرات إخواني الأطباء المصريين الرمديين عامة، وأعضاء لجنة التعليم خاصة، على ما أحاطونا به من صنوف الرعاية وألوان العناية .
وكم كنا نتمنى جميعاً، أن تكون جميع المؤتمرات الدولية، مشابهة لمؤتمرنا هذا، ترفرف في فضائه أجنحة السلام، وتسود فيه روح المحبة والألفة والتعاون الاجتماعي الصحيح ، فتقطف الإنسانية المتألمة ، ثمرة اجتماع أساطين رجالها فيعيشوا جميعاً بسلام وهناء وسعادة ورخاء .

أتمنى من صميم الفؤاد، لجميع المؤتمرين حياة طيبة مقرونة بالصحة والسرور في عودتهم إلى بلادهم، راجياً أن نجتمع في الندوة القادمة والجميع متمتعون بالصحة التامة والنشاط الكامل .

٥- زيارة الدكتور محمد علي الشواف، لموطنه مدينة حماة بعد

انقطاع دام (١٢) سنة:

تزامن وصول الدكتور الشواف إلى مصر للمشاركة في المؤتمر الدولي للرمد، مع مضي سنة كاملة على معاهدة سنة (١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م) التي وقّعت عليها حكومة جميل مردم^(١) بك مع فرنسا، هذه المعاهدة التي ترتب عليها سقوط كثير من الأحكام عن المجاهدين الذين شاركوا في الثورة السورية الكبرى لسنة (١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م)، ولما كان الدكتور محمد علي الشواف واحداً من الذين حُكِمَ عليهم بالإعدام، فقد سقط الحكم عنه بموجب هذه المعاهدة، الأمر الذي دفعه إلى زيارة بلده سوريا بعد انتهاء أعمال المؤتمر الدولي للرمد، واستئذانه حكومته ومليكه في هذه الزيارة، وذلك بعد انقطاع وغياب عن موطنه وأهله دام اثنتي عشرة سنة عاشها بجوار الملك عبد العزيز، يعمل طبيباً في الإدارة الصحية الناشئة يومها، وقد كانت مناسبة وجوده في مصر، وسقوط الأحكام القضائية عنه، وعن إخوانه المجاهدين السوريين، السبب المباشر في زيارته لموطنه بعد هذا الانقطاع الطويل. وقد عاد كثير من إخوانه إلى بلدهم سوريا فكان شأنه من شأنهم، ولذلك فقد شهدت المدن السورية بشكل عام شيئاً من البهجة والفرحة بعودة أبنائها إلى ديار الوطن، ومدينة

(١) كان لاتفاقية سنة ١٩٣٦م بين سوريا وفرنسا في عهد حكومة جميل مردم الأثر والسبب المباشر في إسقاط حكم الإعدام عن جميع المحكومين والعفو عنهم.

حماة التي أشعلت فتيل الثورة السورية سنة (١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م) بقيادة فوزي القاوقجي وسعيد العاص والدكتور الشواف وسائر إخوانهم من المجاهدين الحمويين، الذين أقضوا مضاجع القوات الفرنسية، وكبدوها الخسائر الفادحة، فقد عمت حماة الفرحة مثل باقي المدن السورية التي عمتها الفرحة بعودة أبنائها، ومنهم الدكتور الشواف، وعند عودة الدكتور الشواف لموطنه حماة، حظي بالاهتمام الكبير والفرحة العظيمة حفاوة الاستقبال من أهالي مدينته، وهذا شأن مدينة حماة في تكريم أبنائها المجاهدين، ومن أجل تكريم الدكتور الشواف فقد خرج أهل حماة لاستقباله، من حيث يكون مقدمه من جهة مدينة حمص، بحيث يكون استقبلاً يليق بجهاد ونضاله وسمو مكانته عند أهل مدينته، وقد جرى له حفل كبير، فأعدوا له سرداقاً كبيراً كي يحظى بالسلام عليه أهل مدينته وكبار علماء ووجهاء وشعراء البلد، بعد هذا الغياب الطويل، وقام الخطباء والشعراء بالترحيب به وبمقدمه، وكان من هؤلاء الشعراء الذين وقفوا بين يديه، شاعر حماة، المرحوم بدر الدين^(١) الحامد رحمه الله، الذي ألقى قصيدة رائعة أثى فيها على الدكتور الشواف وجهاده ونضاله، وفي الوقت نفسه لم ينس الشاعر، الثناء على الملك عبد العزيز في بيان عظيم قدره وجلال شخصه وسمو مكانته عند أبنائه من أهل الشام، فقدم الشكر له ولبلاده الطاهرة الكريمة حصن العروبة والإسلام، وموطن نور الإسلام ومولده؛ وتلك هي القصيدة، كما حفظتها لنا جريدة أم القرى الغراء، بعد أن حملها

(١) ١٣١٥-١٣٨١م = ١٨٩٧م - ١٩٦١م . شاعر من النوابع . لقب بشاعر حماة . وشاعر العاصي وغير ذلك من الألقاب . صدر أول ديوان له سنة ١٩٢٨م واسمه التواعير، كان وطنياً عانى من السجن والملاحقة على يد القوات الفرنسية، وعن استقبال أعيان حماة للدكتور الشواف انظر الملحق ٤، الزركلي . الأعلام المجلد ٢ ، ص ٤٦ .

معه الدكتور محمد علي الشواف ليقدمها^(١) لجريدة أم القرى، مع العلم أن هذه القصيدة لم ترد في ديوانه، بسبب حمل الدكتور الشواف أصل القصيدة هذه لإهدائها جريدة أم القرى ونشرها فيها، فيقول رحمه الله فيها:

عُدْتُ كالسيفِ عزيمة ومضاء	تملأ العين بهجة ورواء
فيك من ساحة الجهادِ سمات	رافعات إلى الفخار لواء
قد بلونا منك السجايا فكانت	مثل الصدق والعلی لا خفاء
خلق طيب وقلب عظيم	في الميادين صدقه يتراءى
مر عهد على البلاد ذميم	طيق الأرض ظلمة والسماء
قد قطعناه بين دمع وسهد	وعراك فيه أرقنا الدماء
كل ندب من نفسه في جيوش	من نضال مشى يلبي النداء
(وعلي) قد كان أول ساع	عن وفاء وعزة لا مرءاء
فهو للحمد والكرامة أهل	ليست الناس في المسعى سواء
يا فتى النبل والحمية أقدم	كاعب المجد تخطب الأكفاء
ليس من بات آمناً مطمئناً	مثل من بات يقطع البيداء
نضو حرب على المخاوف وقف	في يد الموت بكرة ومساء
في سبيل العلى تهون المنايا	خل عنك الأنذال والجبناء
إنما المرء في الزمان حديث	والحياة الدنيا ستمسي هباء
هات حدث عن الحجاز وأكرم	بربوع الهدى ترابا وماء
أعظم الناس سيد الخلق منها	فلها الحق أن تتيه علاء
من رباها تجري الهداية بحراً	يسع الكون شرعة سمحاء

(١) جريدة أم القرى الجمعة ١ رمضان ١٣٥٦هـ - ٥ نوفمبر ١٩٣٧م، الصفحة ٦ العدد ٦٧٤، وفي الكشاف التحليلي الرقم / ٤٨٩٠ / الصفحة ٤٧٦ مجلد أول .

قام فيها فخرُ النبيينَ طهراً يملأُ الأرضَ والسماءَ ضياءً
أي شعرٍ وقولٍ هو فيها محكمُ الوحي يُخرسُ الشعراءَ
هاتِ حدثٌ فللحديثِ شجونٌ ومن القولِ ما يكونُ وفاءً
كيف خلّفتَ ليثها ورجالاً ٩٩ عرفوا الدينَ عن هدى لا رياءَ
إن (عبد العزيز) نورٌ من الله مبينٌ يبددُ الظلماءَ
ملكٌ يحفظُ الحقوقَ ويرعى ذمةَ الله جهرةً وخفاءً
كلُّ صعبٍ عليه حينَ إذا سلط تلكَ العزيمةَ القعساءَ
نرتجي منه أن يكونَ ملاذاً حققَ الله فيه هذا الرجاءَ
يا فتى موطنِ العروبةِ والمجدِ لكَ الحمدُ تكتسيه رداءً
أنتَ خدنُ الصبا واني فخورٌ بامتداحي صفاتك الغراءَ
ما على هذه النواعير أن لا تسكبُ الدمعَ فرحةً ورضاءَ
عدتُ والعهدُ في البلادِ جديدُ كسيتَ منه حلةَ زهراءَ
قد نسينا لذعَ النوى بالتلاقي يا صديقي فما أحبُّ اللقاءَ
ألفُ أهلاً ومرحباً (بعلي) وكفى فلساً أحصى الثناءَ

فكانت هذه القصيدة التي حفظتها لنا جريدة أم القرى، واحدة من عدة كلمات وقصائد ترحيبية قيلت في حفل استقبال وتكريم الدكتور الشواف، وبعد انتهاء زيارته هذه لموطنه حماة، غادرها مودعاً بمثل ما استقبل به، ليعود إلى المملكة عبر مصر، وبالطائرة التي أقلته من الحجاز إلى مصر.

وأمين سعيد الذي عرف الدكتور الشواف في جهاده وحبهِ لوطنه، وطيب أخلاقه ونبل شخصه، كان من أوائل الإعلاميين السوريين الذين أكرموا نزل الدكتور الشواف، عند وصوله القاهرة للمشاركة في مؤتمر الرمد الدولي، سواء في

استضافته، أو في تكريمه التكريم اللائق به، في مجلته التي كان يصدرها في القاهرة وهي: (الرابطه العربية) . هذا وقد خص أمين سعيد خبر هذه الزيارة للدكتور الشواف إلى موطنه مدينة حماة، بأحسن الساحات الإعلامية في مجلته هذه، وهي الصفحة الخاصة بـ "صور^(١) الأسبوع" وقد جاءت صيغة خبر الزيارة على الشكل التالي :

«حضرة الدكتور المجاهد محمد علي الشواف الطبيب الخاص لجلالة الملك عبد العزيز آل سعود، وأحد الأحرار السوريين، الذين حكم عليهم بالإعدام، في زمن الثورة السورية، وهو عائد إلى وطنه بعد غياب دام (١٢) سنة».

وقد أقيمت له حفلات تكريم وتوديع في مكة المكرمة عند سفره إلى مصر، كما احتفل به إخوانه من السوريين المقيمين في مصر عند وصوله إليها، ومالبث أن برحنا إلى سوريا .

وبعد التكريم الذي حظي به من قبل أهل مدينته وذويه، ودع الجميع ليعود إلى المملكة العربية السعودية، وقد كانت عودته هذه عبر مصر، حيث سيستقل الطائرة التي حملته من الحجاز، لتعود به ثانية^(٢) إلى الحجاز .

٦ - المهام الإدارية الصحية التي تولّاها الدكتور الشواف:

لم أقف على ما يفيدني بالمهام الإدارية الصحية التي أوكل بها الملك عبد العزيز إلى لدكتور الشواف، ولكن الذي يبدو لي أن الدكتور الشواف كان قد أمضى ما يقارب عشر سنوات طبيباً رافق الملك نفسه أو عمل بالقرب منه، كما لازمه في كثير من رحلاته، خاصة زيارة الملك عبد العزيز لمدينة الأحساء، وذلك سنة ١٣٤٩هـ -

(١) أمين سعيد . مجلة الرابطه العربية الأربعاء في ٦ جمادى الأولى ١٣٥٦هـ ١٤ يوليو ١٩٣٧م . السنة الثانية المجلد الثالث الجزء ٥٨ / .

(٢) جريدة أم القرى العدد (٦٨٤) الصفحة (٥) صدر في ١٣/١١/١٣٥٦هـ ١٤/١/١٩٣٨م . الخبر في الكشف (٥٠٠١) الصفحة (٤٨٥) المجلد (١) .

١٩٣٠م، وغيرها من الرحلات الملكية في داخل المملكة. وعن هذا، فقد حدثني بن قراش الدعجاني الذي كان والده قراشاً مرافقاً للملك عبد العزيز ومن رجاله، وكثيراً ما كان الملك عبد العزيز ينيط به مرافقة الدكتور الشواف عند سفره لأي مهمة يكلفه بها الملك عبد العزيز، وهذا الكلام، كان قد سمعه هذا الشاب من أبيه، حيث كان كثير الحديث عن سفره ومرافقته للدكتور الشواف. ومن جانب آخر، فقد ذكرت جريدة^(١) أم القرى وهي من أهم مصادر التاريخ السعودي خبراً يفيد بتعيين الدكتور الشواف في الإدارة الصحية العامة في مدينة الرياض، وذلك بعد نقله من إدارة صحة مكة، وكان ذلك بتاريخ يوم الجمعة ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٦٠ هـ - الموافق ١١ أبريل سنة ١٩٤١م، وقد تم تعيين الدكتور محمد خيرى مكانه في صحة مكة المكرمة، بموجب أمر ملكي سام.

وبعد عمله في الإدارة الصحية في مدينة الرياض لسنوات قليلة، تم نقله إلى المدينة المنورة مديراً لشؤونها الصحية، حتى وافته المنية في مصر، وكان مشاركاً في المؤتمر الدولي للرمم سنة ١٩٥٤م، فعن إدارته لشؤون المدينة المنورة الصحية، كانت جريدة^(٢) "الكفاح" لأمين سعيد والصادرة في دمشق، قد حملت لنا خبراً يفيد بزيارة الدكتور الشواف لموطنه حماة، وذلك سنة ١٩٤٣م، وقد جاء الخبر في الصحيفة على الشكل التالي:

قدم العاصمة - دمشق - من حماة في طريقه إلى المدينة المنورة، الدكتور

(١) الخبر في الكشف برقم (٦١١٥) المجلد الأول الصفحة (٥٩٣). جريدة أم القرى الملحق (٥) السنة (١٧) العدد ٨٥١ / ١٥ / ٣ / ١٣٦٠ هـ الموافق ١١ / ٤ / ١٩٤١ م. الصفحة ٢.

(٢) جريدة الكفاح. صدر العدد الأول منها في ٢٤ تموز سنة ١٩٣٩م، وخبر زيارة الدكتور الشواف لسوريا في الجريدة جاء في العدد (١٠٣٩) السنة الخامسة والمؤرخ في ١٦ شعبان ١٣٦٢ هـ - ١٧ آب ١٩٤٣م الصفحة (٣).

البارع علي بك الشواف، رئيس صحة المدينة المنورة، فرحب به أصدقاؤه الكثيرون، والدكتور الشواف من خيرة شبابنا الوطنيين، وقد هاجر إلى الحجاز منذ سنة ١٩٢٦م، عقب الحوادث المعروفة - حوادث الثورة السورية الكبرى -، فاستقر في ربوعه يخدمه بفنه وعلمه، فلقى نجاحاً وإقبالاً وتقديراً، وظل يرقى في المناصب الطبية حتى وصل إلى رئاسة صحة المدينة المنورة، وهي من أكبر المناصب الصحية عندهم، فنكر الترحيب بحضرته، وقد تلقينا من حضرته كلمة الشكر الآتية : (لأسباب اضطرارية غادرت البلاد العزيزة لألتحق بعمل في المدينة المنورة، ودون أن أتمكن من رد الزيارة لإخواني الكثيرين، الذين شرفوني بزيارتهم، وأحاطوني بكرمهم ورعايتهم، شكري الجزيل لحضراتهم، خاصة إخواني في حماة ومصيف، متمنياً لهم أطيب العيش في ظل العهد الجديد المبارك - الحكم الوطني في سوريا - واستودعكم الله). ويستفاد من هذا الخبر أن تعيينه في إدارة صحة المدينة المنورة كان متوافقاً مع تاريخ زيارته لبلده سوريا، وذلك سنة ١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م، هذا ومن خلال عمله الإداري، الذي هو عليه قائم في إدارة صحة المدينة المنورة، كانت الدولة قد وجدت فيه القدرة والأهلية، في تمثيلها في المنتديات والمؤتمرات الصحية الدولية، فتم تكليفه ممثلاً لها فيها بشكل دائم؛ وذلك لنجاحاته في اللقاءات والمشاركات السابقة، ففي سنة ١٩٥١م - ١٣٧١هـ، تم تكليفه بحضور اللقاء الدولي لطب العيون^(١) في مصر المضيضة، وقد شارك في هذا اللقاء مندوبون عن باكستان والهند ومصر الدولة المضيضة .

(١) الخبر في الكشف برقم ٩٣٢٦ المجلد الثاني مؤتمر صحي في القاهرة الصفحة ٩١٨ جريدة أم القرى العدد (١٣٥٧) السنة (٢٨) الجمعة في ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٧٠هـ الموافق ٦ أبريل ١٩٥١م . الصفحة (١) .

وكان الدكتور الشواف يومها يشغل مدير صحة منطقة المدينة المنورة . وفي سنة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م، شارك كذلك في اللقاء الدولي لطب العيون، وكان الحضور الأخير له فيه؛ إذ توفي خلال انعقاد المؤتمر، فكما سبقت الإشارة إلى ذلك، في أنه كان قد أصاب إصابته خراج التهابي فأخذ من أجله حقنة بنسلين، نتجت عنها إصابته بصدمة تحسسية أودت بحياته رحمه الله، وقد تبارى الشعراء في نعيه في سوريا؛ وذلك لعظيم مكانته في تاريخ سوريا الجهادي والوطني ضد الاستعمار الفرنسي، إضافة إلى ما عرف عنه من نبل ووفاء وسمو في أخلاقه الكريمة، حظي فيها بحب الملك عبد العزيز له وحب الجميع له، وبوفاته رحمه الله في هذا التاريخ كان أسبق الناس لحاقاً بولي أمره الملك عبد العزيز رحم الله الجميع، فقد توفي وهو يقوم بواجبه في خدمة بلده المملكة العربية السعودية، التي منحها الحب والوفاء والولاء، هذا وقد رثاه القاضي والمستشار الشيخ مصطفى الخالد^(١) بهذه القصيدة بعنوان :

ذكريات

يَطِيشُ النَّاسُ فِي كَسْبٍ وَمَالٍ وَلَا يَدْرُونَ مَا فَضْلُ الْحَلَالِ
فَكَمْ بَعْدَتْ بِقَوْمٍ حَامِلَاتٍ بَجَوٍّ أَوْ بِبَحْرِ لَمْ يُبَالِ
وَفِي بَرٍّ يَكْفِجُ مِثْلَ جُنْدٍ بِحَرْبٍ ثُمَّ لَمْ يَفْطَنْ لِفَالِ
بِأَخْلَاقٍ وَتَرْبِيَةٍ عَلَيْهَا يُقِيمُ أَهْلُنَا عِنْدَ الْمَالِ
فَإِنْ دَرَجُوا عَلَى الْأَخْلَاقِ فَازُوا وَفُزْنَا فِي الْمَقَالِ وَفِي الْفِعَالِ
وَالْأَمَّا مَا جَنَيْنَاهُ بِنُصْبٍ يُنْغَصُّنَا وَتَغْدُوا فِي خَبَالِ

(١) صاحب القصيدة (كانت وفاته في ٣ / ٩ / ٢٠٠٣م) وهو من أهل بلدة السلمية التابعة لمدينة حماة وشقيق الحاج رسلان الخالد رحمه الله الداعية الإسلامي المعروف لدى أهل الكويت وأبن عم الدكتور الداعية زهير الخالد المقيم في المدينة المنورة حالياً .

تَذَكَّرْتُ الصَّبَا وَفَرَّاقَ دَرْبٍ وَجُهِدَ فِي الْفَضِيلَةِ وَالنُّضَالِ
وَمَنْ نَفَرُوا لِكِي يُجْلُوا فَرَنْسَا^(١) عَنِ الْأَوْطَانِ فِي نَفْسٍ وَمَالِ
وَمَا فَارَزُوا بِنَهْضَتِهِمْ فَمَالُوا لِأَهْلِ فِي الْحِجَارِ وَفِي الْعَوَالِي
لِيَقْضُوا عِنْدَهُمْ سَنَةً ضَيُوفًا^(٢) وَعِنْدَ مَلِكِهِمْ^(٣) حَسَنَ الْخِصَالِ
فَأَوَاهُمْ وَقَرِيبَهُمْ خُصُوصًا طَبِيبًا مِنْ جَهَايِذَةِ الرِّجَالِ
لَهُ فِي الْعَيْنِ^(٤) عِلْمٌ مُسْتَفِيزٌ فَعَيْنُهُ الْمَلِكُ كَخَيْرِ وَالِي
وَصَارَ لَدَيْهِ بِالْجَلِيِّ أَثِيرًا يُدَاوِي كُلَّ ذِي هَمٍّ وَخَالِي
بِحُسْنِ سِيَاسَةٍ وَهَدًى وَتَقْوَى وَأَخْلَاقٍ وَطِيبٍ فِي الْخِلَالِ
وَأَقْفَرَتِ الْبِلَادُ خِلَالَ عَقْدٍ وَرَدَّ الْمُعْتَدُونَ بِسُوءِ حَالِ
وَعَادَ أَبُو زِيَادٍ^(٥) فَالْتَقَيْنَا عَلَى خَيْرٍ بِتَوْفِيقِ الْإِيَالِي
سَهْرُنَا أَوْ سَكْرُنَا فِي هَوَانَا وَوَدَعْنَا بِأَمَالِ الْوَصَالِ
وَعَنْ لَنَا وَزَوْجِي أَنْ نَرَاهُ خِلَالَ الْحَجِّ وَانْشَدَتْ رِحَالِي
إِلَى طَيْبَا وَلِي فِيهَا طَيْبٌ حَبِيبٌ لَمْ يَزَلْ فِي لَوْحِ بَالِي
وَلَكِنِّي فُجِعْتُ بِهِ وَقَلْبِي تَعَلَّقَ بِالرَّحِيلِ وَالْأَرْتِحَالِ
فَقُلْتُ أَمْرٌ أَذْكُرُهُ بِخَيْرٍ وَأَدْعُو لِابْنِ عَمِّ أَبِي الْعِيَالِ^(٦)
وَأُبْحَثُ عَنْ خَلِيفَتِهِ لَعَلِّي أَعَزِّيهِ وَأَهْدِيهِ مَقَالِي

(١) إشارة إلى جهاد الدكتور محمد علي الشواف ضد فرنسا.

(٢) إشارة إلى جوارهم عند الملك عبد العزيز حتى تتهياً لهم العودة إلى حرب فرنسا عن أرض سوريا.

(٣) هو الملك عبد العزيز رحمه الله .

(٤) المراد به علم الدكتور الشواف وتخصصه بطب العيون .

(٥) هو الدكتور الشواف وكني بأبي زياد وزياد هو ابنه السفير الذي سبقت ترجمته .

(٦) المراد بذلك أن زوجة صاحب القصيدة والدها ابن عم الدكتور الشواف .

مَرَرْتُ بِطَيْبَةٍ وَبِهَا خِيَالِي
فَقُلْتُ أُرِيحُ مَرْكَبَتِي قَلِيلاً
بِحَيِّ الْعَنْبَرِيَّةِ كَانَ حَيِّي
أَوْخُ مَا مَضَى مِنْ عِزِّ قَوْمِي
بَكَيْتُ فَمَرَّبِي شَيْخٌ جَلِيلٌ^(١)
وَقَالَ أَنَا أَمِينُ أَبِي زِيَادٍ
وَهَذِهِ دَارُهُ بَسْطَانٍ وَرِدٍ
بِقُرْبِ الْمُصْطَفَى دَارًا وَعِزًّا
وَعَدَدٌ لِي مَآثِرُهُ وَأَثْنَى
وَفِي الْيَمَنِ^(٢) السَّعِيدِ لَهُ أَصُولُ
بِجَانِبِهَا قُصُورُ الْعِزِّ أَضْحَتْ
تَتَوَحُّ لَهَا نَوَاعِيرُ بَصَوْتٍ
وَأَجْهَشَ فِي الْبُكَاءِ وَقَالَ أَرْجُو
رَجَعْتُ وَكَانَ فِي الْأَحْبَابِ دَرْسٌ
فَلَيْسَ يَدُومُ فِي الدُّنْيَا عَظِيمٌ

وَشَدَّتْنِي بِهَا رِيحُ الْمَعَالِي
وَأَذْكُرُ مِنْ مَآثِرِهَا الْخَوَالِي
عَرِيقُ الْأَصْلِ مَحْمُودُ الْفَعَالِي
وَيَوْمِي بَيْنَ حَالِهِمْ وَحَالِي
وَعِزَّانِي بِأَحْبَابِي الْغَوَالِي
طَبِيبُ الْعَيْنِ وَالْخُلُقِ الْمِثَالِ
وَرُمَانٌ وَتَيْنٌ أَوْ دَوَالِي
وَذِكْرِي الطَّيِّبِ مِنْ أَهْلِ وَالٍ
عَلَى أَوْلَادِهِ دُرُّ الْكَمَالِ
وَدَارُ فِي حِمَى طَيْفِ الْخِيَالِ
مَتَاحِفٌ قَدْ نَعَتْ أَبْهَى الْجَمَالِ
تُذِيبُ حَشَاشَةَ التُّكْلِ بِغَالِي
لَهُ الْجَنَّاتِ وَالْحُورِ اللَّالِي
يُؤَكِّدُ أَنْ نَفَارِقَ كُلَّ غَالِي
وَكُلُّ الْعَالَمِينَ إِلَى زَوَالِ

المستشار

مصطفى الخالد

قاضٍ بالمحكمة الاتحادية العليا - أبو ظبي - سابقاً
ورئيس محكمة أمن الدولة في إمارة أبو ظبي سابقاً

(١) هو رجل يمني كان حارس بيت أبي زياد.

(٢) المراد بذلك هو أن أحد أعمام الدكتور الشواف وكان تاجراً واسمه صالح، كان صاحب تجارة مع اليمن وله بيوت هناك، وليس المراد بذلك أصل آل الشواف فهم قيسيون وليسوا يمانيين.

٧ - كلمة الدكتور محمد علي الشواف بين يدي الملك^(١) عبد العزيز :

في حفل وضع حجر الأساس لمستشفى جلالته بمكة المكرمة «وذلك بعد زيارته التاريخيه الأولى لمصر» «والمؤرخة في ٢ ربيع الأول ١٣٦٤هـ - ١٤ فبراير ١٩٤٥م»

مولاي جلالة الملك المعظم، وما رأى كمن سمع، بهذه العبارة الكريمة ختمتم يا مولاي نطقكم السامي، ونداءكم المؤثر العظيم، فلم نستطع أن نستزيد من أخبار الرحلة الملكية السارة لإرواء نفوسنا الفياضة بحبكم وقلوبنا العامرة بالإخلاص والولاء لجلالتكم .

فاندفعنا بعد وصولكم إلى الوطن المقدس، نتلمس الطريق السوي المستقيم بنور إشرافكم، لنسجل على أرض الوطن الغالي مهد العروبة والإسلام، ونأشر لواء الحضارة والسلام، فرحنا وابتهجنا بعودة الأسد الهصور إلى عرينه والبطل المغوار إلى حصنه .

فذهبنا نتنافس ونتسابق في تخليد ذكرى عهد الصداقة والإخاء والمودة والوفاء بين ملكين عظيمين، وبطلين، كريمين، وضعنا نفسيهما، وكرسا جهديهما، ووضعنا شعبيهما وما يملكان من قوة، في سبيل مجد العروبة والإسلام، وليس البيان بمسعف لوصف تسابق الشعب العربي السعودي فيما أظهره وسيظهره في سبيل تخليد هذه الذكرى المجيدة، فإذا ما استراندنا الإخوان في الأقطار الشقيقة عما أظهره الشعب المخلص المتفاني لمليكه المفدى أجبناهم أننا اقتداءً بجلالتكم وما رأى كمن سمع.

(١) الخبر في الكشف بالرقم ٧٢٦٧ المجلد الثاني الصفحة ٧١٤ جريدة أم القرى العدد (١٠٩٣) الجمعة في ٧ ربيع أول ١٣٦٥هـ = ٨ فبراير ١٩٤٦م. الصفحة (٣) .

مولاي : نعمتان عظيمتان، الأمن في الأوطان، والصحة في الأبدان، فالأولى من الله علينا بها بفضلته تعالى، ثم بفضل جهادك وجهودك، واتباعك الشريعة الإلهية، والسنة المحمدية، فمشت النعاج خلال الذئاب فلا خائفون ولا معتدون .

وأما الثانية : الصحة في الأبدان، فكانت تعتل ويزداد اعتلالها، وتسري العلة في الأجسام وتزمن، حسب نقصان أو فقدان المؤسسات الصحية في الدساكر والمدن.

ولقد بقيت البلاد المقدسة، رداً طويلاً من الزمن، تتحمل الاتهامات ولا تستطيع رد التعديات على سمعتها السيئة من الوجهة الصحية، وإن أنس لا أنسى ذلك الجهاد السلمي الشاق الذي كنا نعانيه مع لفيك كبير من الحجاج الذين يتركون وصيتهم عند ذوبهم قبل أن تعتلي أقدامهم مراكب السفر البحرية اعتقاداً منهم أن المريض منهم لا يجد ملجأً صحياً للتداوي وأخذ الدواء ولا هو مسعف بالأطباء حين الاقتضاء، والغني منهم يتزود بالعقاقير ومختلف المستحضرات حتى إذا ما هبطوا أرض السلام والإسلام ودخلوا في بلد الله الحرام، وزاروا مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام، واضطروا إلى مراجعة المؤسسات الصحية العربية السعودية وجدوا ما لم يخطر لهم ببال من مستوصفات مزودة بالموظفين الأكفاء، مع الأدوية والمستحضرات، ووسائل الإسعاف، ومستشفيات كاملة مجهزة بكل ما يطلبه المريض ويحتاج إليه .

أجل لا أكون مبالغاً يا مولاي، إذا قلت إن بعض الوافدين لا يزال غير مطمئن إلى مؤسساتنا، فهو يريد كما تركها في بلده الغنية كثيرة الأجنحة، موفرة الغرف والأقسام، وكثيرة الأطباء متعددة الشعب وفيرة الممرضات .

ونحن خدامكم الأطباء، إذ نسير قدماً في ثبات واطمئنان، للوصول إلى الهدف الأسمى الذي يرضى عنه ضمير الإنسانية، فإننا نتبع في ذلك إرشاداتكم القيمة ونصائحكم الثمينة للعمل في هذه المؤسسات، حسب سنن التطور والتدرج، التي لا بد من اتباعها تأمناً للعمل المثمر، وحفظاً للكيان الصحي .

مولاي : إن مدينة سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه، محبوبة عند جميع المسلمين، نعم إنها مدينة العقيدة والإيمان، مدينة الصحابة وتابعيهم الشجعان، مدينة العلم والمعرفة، مدينة الشريعة السمحاء والحضارة الغراء، ردد فيها العقيق وأُحد وسلع صدی تخليد الذكرى المجيدة، فكان نصيبها كبيراً وحظها وفيراً، إذ نالت تخليد الذكرى لكم يا مولاي ولأخيكم فاروق العظيم، هناك مستشفى جلالتم يشاد بناؤه، ويقام صرحه، يقابله مستشفى الفاروق الذي بدأ العمل في حفر أسسه وسيتقابل المستشفيان، وسيشهدان مدى الزمن عهد الصداقة والإخاء في سفوح رضوى، كما يحملان إلى الأجيال القادمة والمتعاقبة، عهد المودة والوفاء على شاطئ النيل وفي سفوح الأهرام . وسيشد أزرها في الشهادة مدرسة ثانوية تتوسطهما، ويتصاعد من بين جدرانها دعاء الطلبة وآمالهم ورجاؤهم، بأن يحفظ الله تعالى مليكهم، وأن يطيل في عمره ويجعله مقروناً بالمجد والعز والصلاح . وهكذا يا مولاي يكون خدامكم الأطباء حظوا بنصيب وافر من الشرف والفخر والسرور؛ حيث سيعملون عما قريب إن شاء الله، في مؤسسات الذكرى السعيدة الخالدة ذكرى عودة جلالتم إلى الوطن الغالي، من الرحلة الملكية الميمونة، فيعلم الداني والقاصي أن مستشفى جلالة الملك عبد العزيز آل سعود المعظم في مكة المكرمة ومثله في المدينة المنورة، ومستشفى جلالة الملك فاروق الأول المعظم،

ومستوصف حائل ومستوصف جيزان، الذي تبارى الشعب هناك لإنشائه، أجل ستعلم الأجيال الحاضرة والمستقبلية، وسيذكر جميع العرب والمسلمين، في كل صقع، وفي كل ناد أن زيارة جلالتم لأخيكم جلالة الملك فاروق، أينعت ثمرتها ونطقها شعبكم الوفي المخلص، منذ أن وطئت قدمكم أرض الوطن في ثغر جدة، التي ستجري فيها ماء عين العزيزية بأقرب وقت إن شاء الله تخليداً للذكرى .

عشتم يا مولاي، وعاش أخوكم جلالة الملك فاروق المعظم، وعاش أنجالكم، وأبناء أسرتكم الكرام حصناً للعروبة والإسلام .

الدكتور محمد علي الشواف

٨ - مرافقته للقوات السعودية للجهاد في فلسطين على الجبهة السورية:

كانت القضية الفلسطينية، من أولى القضايا الحاضرة عند الملك عبد العزيز، وقد اهتم بها اهتماماً كبيراً بقدر اهتمامه بقضايا بلده، وعند ما زاره الرئيس شكري القوتلي في الرياض قبل اللقاء التاريخي مع الرئيس الأمريكي روزفلت، ورئيس الوزراء البريطاني تشرشل، اتفق الاثنان على أن يتكلم كل واحد منهما بقضية، فقد اختص الملك عبد العزيز بقضية الحديث عن فلسطين، والرئيس شكري القوتلي بالحديث عن موضوع استقلال سوريا عن فرنسا .

وقد حفظت لنا مئات المصادر، وآلاف الوثائق قضية اهتمام الملك عبد العزيز بقضية فلسطين، وعنايته بها أرضاً وشعباً، وقد خلفه من بعده أبناؤه الذين ساروا على نهجه في ثوابت سياسة المملكة تجاه قضية فلسطين، وما تعيشه المملكة اليوم من هجوم عليها وعلى سياستها من أعدائها من اليهود ومواليهم، إنما هو بسبب موقف المملكة الثابت تجاه القضية الفلسطينية، فالملك عبد العزيز، كان هو أول من

نادى العرب بتسليح أهل فلسطين وتركهم لقضيتهم فهم كفيلون باسترداد حقهم، ولو سمع العرب مشورته لما دخلوا ووقعوا في كثير من الإشكالات التي لا يزالون يدفعون ثمنها إلى الآن .

وقد ضرب المجتمع السعودي بحكومته وشعبه، أروع آيات الفداء والتضحية والبذل والسخاء، بالتبرع بالأموال، والتطوع بالأنفس للجهاد في فلسطين، عندما نادى منادي الجهاد عام ١٩٤٨م؛ إذ توزعت القوات السعودية على الجبهتين السورية والمصرية، وكان مؤرخ هذه الحملة، شيخ المجاهدين والمتطوعين، المرحوم فهد المارك رحمه الله، قد كتب كتاباً عن المشاركة السعودية في هذه الحرب للقتال من أجل فلسطين؛ وذلك بمباركة ومشاركة الحكومة السعودية، ووزير دفاعها الأمير منصور ابن عبد العزيز فكان هذا الكتاب كافياً ووافياً في بيانه فيما تناوله من قضايا خاصة بالموقف السعودي تجاه فلسطين، وجهاد أبنائه وقواته إضافة إلى ما قدمه الشعب السعودي من تبرعات مالية لأهل فلسطين في ذلك اليوم، وما قدموه من شهداء على أرض فلسطين في حرب سنة ١٩٤٨م. وقد كان ما كتبه رحمه الله، من أهم المصادر التي كتبت وأرخت لتلك الفترة عن الدور السعودي في حرب سنة ١٩٤٨م، فهذا المصدر، قد أفادنا عن مشاركة الدكتور الشواف، للقوات السعودية طبيباً مرافقاً للإشراف والمعالجة، وقد تم توثيق هذا الخبر بالصورة التي يظهر فيها الدكتور الشواف متوسطاً الجميع، ومنهم السفير السعودي بدمشق عبد العزيز بن زيد، وصاحب الكتاب فهد^(١) المارك . وإضافة إلى ما كتبه فهد المارك عن اهتمام المملكة

(١) فهد المارك سجل الشرف «ذكرى الخالدين» الطبعة الثانية (١٤٠٨هـ) الصفحة (٧٧)، انظر الملحق (٦) والخاص بصورة الدكتور الشواف في مرافقته للقوات السعودية في حرب فلسطين.

بقضية فلسطين في حرب سنة ١٩٤٨م، فإن جريدة الكفاح الخاصة بالصحفي والمؤرخ أمين سعيد تعتبر من خيرة المصادر في العطاء المعلوماتي عن دور المملكة واهتمامها بفلسطين وأهلها، خاصة في فترة حرب سنة ١٩٤٨م. ولذلك فهي ذاكرة التاريخ السعودي لتلك الفترة في ثرائها المعلوماتي عن الاهتمام السعودي بالقضية الفلسطينية على جميع المستويات العسكرية والسياسية والديبلوماسية.

٩- مشاركته في الوفد الرسمي لصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمر سعود «في زيارته التاريخية إلى سوريا ولبنان»

«المؤرخة في ١ شعبان ١٣٧٢ هـ = ١٥ نيسان ١٩٥٣م)

كما سبقت الإشارة في موضوع العلاقات السورية السعودية، إلى أنها تمتاز وتتصف بأريحية خاصة، دون غيرها من البلاد العربية، فإن المتتبع لسياسة الملك عبد العزيز تجاه سوريا، يجد أنها تقوم على اهتمام الملك عبد العزيز بها؛ إذ رسم السياسة العامة للمملكة تجاه سوريا، على أنها تمثل بالنسبة إليها، امتداداً وعمقاً جيواستراتيجياً وسياسياً، وذلك لعدة أسباب : منها ما كان عسكرياً، فيما يخص مواجهتها المباشرة لإسرائيل، وتجارياً وسكانياً واجتماعياً، وسار على إثره خلفه الكرام من أبنائه البررة في التواصل مع سوريا . وفي عهد الملك عبد العزيز رحمه الله، كانت زيارة ولي العهد الأمير سعود بن عبد العزيز التاريخية، إلى كل من سوريا ولبنان، وفهد المارك، الإعلامي السعودي الوحيد، الذي رافق هذه الزيارة الملكية، كان قد أرخ لهذه الزيارة الكريمة في كتابين عظيمين عنها، وخص كل قطر بكتاب، فالأول كان عن زيارته لسوريا والثاني جاء عن زيارته للبنان، وكان برفقته وفد عالي المستوى من الناحية الرسمية، سواء من كان في الوفد من الأمراء أو من غير الأمراء،

وقد رافق سموه في هذه الزيارة التاريخية كلُّ من : الأمير مساعد بن عبد الرحمن، وعبد الرحمن السديري أمير الجوف، والوزير المفوض فخري شيخ الأرض، وسعادة الشيخ عبد الله الخيال، سفير المملكة في بغداد، والشيخ عبد العزيز الكحيمي سفير المملكة في الأردن، والسيد عبد الله بالخير، وعبد الرحمن الحميدي، والدكتور أديب العنتبلي، والدكتور محمد علي الشواف^(١) الذي قد حظي بالتكريم السوري بتقليده وسام الاستحقاق السوري من الرئيس فوزي سلو الذي قلّد جميع الوفد هذا الوسام، ومن الوفد أيضاً سعود بن دغيث، ومحمد بن دغيث، والفريق محمد النملة إضافة إلى كثير من ضباط الحرس الملكي الذين لم نأتِ على ذكر^(٢) أسمائهم .

الخاتمة :

ترجل الفارس الدكتور محمد علي الشواف بوفاته عن عمر بلغ أربعاً وخمسين سنة، خدم فيها هذه البلاد، وهو بجوار الملك عبد العزيز يعمل طبيباً فيها مدة أربع وعشرين سنة، من مجموع سني عمره التي عاشها، ومات وهو يقوم بخدمتها، من خلال مشاركاته في المنتديات الصحية الدولية، وزيراً مفوضاً عن المملكة، وكان منها مؤتمر الرمد الدولي - طب العيون -، حيث كان يعقد بشكل دوري في مصر كل عام، وكانت أولى مشاركاته في المؤتمر الخامس عشر لطب العيون الذي شهدته مدينة الإسكندرية سنة ١٩٣٧م، وكان هذا أول اللقاءات الدولية الصحية التي

(١) انظر الملحق رقم (٧) والخاص بتقليد د/ الشواف وسام الاستحقاق السوري .

(٢) فهد المارك . صدى زيارة شبل الجزيرة إلى سوريا - دمشق : المطبعة الهاشمية ، ١٩٥٤م،

ص (٣٦) .

شاركت فيها المملكة، بوزيرها المفوض الدكتور محمد علي الشواف، كما أنيط به كثير من المهام الإدارية الرسمية بتكليف من الملك عبد العزيز، وبهذا يتجلى لنا إبداع الملك عبد العزيز في قضية بنائه لدولته الناهضة، وذلك في حسن اختياره للرجال، الذين قريبهم من نفسه للاستعانة بهم في قضية التطوير والبناء للدولة؛ وذلك بقصد مواكبة بلاده مسيرة الدول المتقدمة، ويكون لها وجود ومكان تحت ضوء الشمس على هذه الأرض.

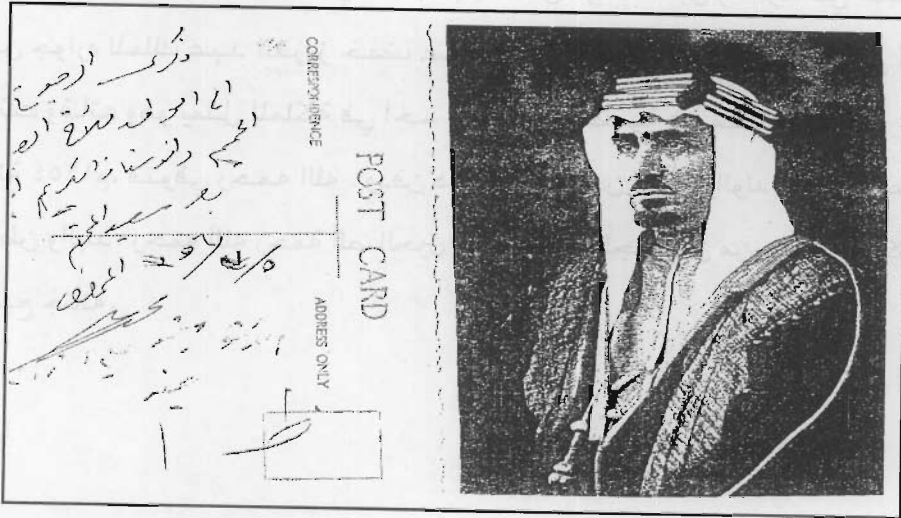
ذلك هو الدكتور محمد علي الشواف في حياته كما عاشها من نشأته إلى جواره للملك عبد العزيز، فقد عاش حياة مليئة بالكفاح، جسدتها حياة الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي الذي ترتب عليه إصدار حكم بالإعدام عليه من قبل الفرنسيين، وحياة الاغتراب التي عاشها بعيداً عن موطنه الأول وأسرته في حماة، لكن جواره للملك عبد العزيز خفف عنه من هذا الجانب الشيء الكثير، إلى أن كانت وفاته وهو يمثل المملكة في أحد المؤتمرات الطبية في مدينة الإسكندرية سنة ١٩٥٤م، فتوفي رحمه الله ، ودفن هناك بعيداً عن الأهل والولد، وغريباً عن الوطن والبلد، رحمه الله رحمة الصالحين من عباده، والمجاهدين من جنده، وأسكنه فسيح جناته.



هذا هو الدكتور محمد علي الشواف في حياته كما عاشها من نشأته إلى جواره للملك عبد العزيز، فقد عاش حياة مليئة بالكفاح، جسدتها حياة الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي الذي ترتب عليه إصدار حكم بالإعدام عليه من قبل الفرنسيين، وحياة الاغتراب التي عاشها بعيداً عن موطنه الأول وأسرته في حماة، لكن جواره للملك عبد العزيز خفف عنه من هذا الجانب الشيء الكثير، إلى أن كانت وفاته وهو يمثل المملكة في أحد المؤتمرات الطبية في مدينة الإسكندرية سنة ١٩٥٤م، فتوفي رحمه الله ، ودفن هناك بعيداً عن الأهل والولد، وغريباً عن الوطن والبلد، رحمه الله رحمة الصالحين من عباده، والمجاهدين من جنده، وأسكنه فسيح جناته.



الملحق رقم (١) من أشهر أبطال الثورة وقادتها المجاهدين الأحرار الواقفون من اليسار أبو محيي الدين شعبان، سعيد الأظن، أبو عبده فارس، الأمير عز الدين الجزائري، سعيد العاص، توفيق القلعي. من اليسار أبو أحمد محمد علي الكيال الدكتور الشواف. أبو سليمان العلي، هزاع أيوب



الملحق رقم (٢) هذه الصورة أهداها الدكتور الشواف لأمين سعيد عقب مشاركته في اللقاء الدولي لطب العيون لسنة ١٩٣٧م. ويرى على ظهرها إهداء الدكتور الشواف وتوقيعه الصورة «من مقتنيات أمين سعيد الخاصة».

ختام مؤتمر الرمد الدولي

وخطبة الدكتور الشواف التدوين السعدي

اتسنى في الأسبوع الماضي مؤتمر الرمد الدولي وختم بحسنه وتوفيق أن شاء الله أعضاءه عاندين إلى بلادهم. وثبتت هناك الخطبة البليغة التي خطبها الدكتور محمد علي الشواف مندوب الحكومة السعودية في المادة المتعلقة في المشكلة العربية الوحيدة التي أثبتت في المؤتمر قال: سيداتي! ساداتي من دواعي سروري واختياري أن تشرف بالعرف والاجتماع إلى حضرات أفاضلة وإعلام الكرام الذين يمثلون الأسرة العلمية الرمدية المولوية موفدا من قبل حكومة صاحب السيادة ملك المملكة العربية السعودية. تلك الحكومة التي سلكت طريق التعاون الاجتماعي الدولي منذ نشأتها الأولى حرصا منها على مصلحة السلام العام والرخاء المشترك! كان ابتهاجها بالتأليف عندما تلبثت الدعوة وعلقت أن مكان اشتداد المؤتمر الرمد الدولي المأسس عشر سيكون في وادي النيل في مصر العزيزة التي كانت من سالف العصر وكذا قويا من أعظم أركان الحضارة



الدكتور محمد علي الشواف
والتدوين السعدي
وانتشر في ساحة مستشفى قلاوون وفي أروقة مستشفى روض الفرج وفي حدائق عظيم القاعة لتساعد الخبير الرمدية وعرف الكشف المبني ودور العمليات الجراحية وتأهبها بحجرة وقف قايلا في ردهات مستشفى الجزيرة وفي ساحة مستشفى قلاوون وفي أروقة مستشفى روض الفرج وفي حدائق عظيم القاعة لتساعد الخبير الرمدية وعرف الكشف المبني ودور العمليات الجراحية وتأهبها بحجرة

- ٣٠ -

بأحسن ما وصل إليه الفن الحديث. ثم لندل إلى المؤسسة الطبية الكبيرة « قصر البني » ربما يتبينها من مستشفيات جهزت بأكل المعدات وأحسن الآلات والأدوات.

كل ذلك شاهدنا في برهاتنا ساطع على أن مصر العربية الناعمة ما برحت تنالوا العلم وهي تسير بخطوات متزنة ، مؤدية للإنسانية ورسالتها الصالحة الثاقبة رسالة انقاذ البشرية ما يمانية من رؤس الألم وشفا المرض أ ان مصر مصدرين عظيمين من مصادير القوة والتشاط : الاول ما تركه لها أسلافها الأولون من الأسس الثرية للحضارة ، والثاني ما هو كامن في غريزة كل مصري من الطلوع إلى الحد والتحل بالعلم الصحيح وإتيان ما يسلي للنفس.

ان الحكومة العربية السعودية التي تشترك لأول مرة في مثل هذا المؤتمر لاتتكم حرصا على أن تكون درسا وأبدا عاملا قويا من عوامل الكفاح ضد كل ما يهدد الإنسانية من أخطار أيما كان نوعها. وسأحمل مسمى في الدورة التي

بلادي العربية ما استندته شخصيا من هذا الاجتماع الدولي للفتارة على مكافحة الأمراض الرمدية جيد وإقامة ويسري أن أعان في هذه المناسبة ان البلاد العربية السعودية ليست موطن وباء الفراهوما كما كان يظن

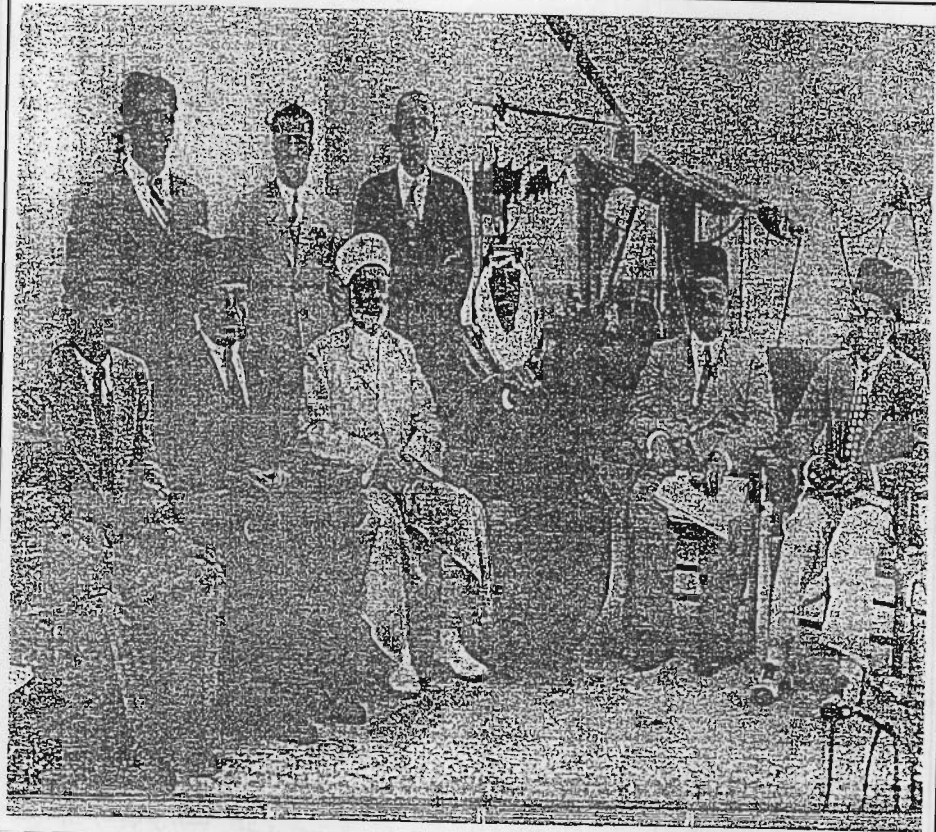
بعض الرمديين وكما كتب بعضهم الجراح يقولون منها الرمد الجيني البلاد الأخرى وأرجو أن يتجلى في

الاجتماع القادم لتقديم تقرير منه مع خارطة تبين المناطق التي تنحصر في هذا المرض. وفي الختام وقبل أن أقود على أمل القضاء على عظم شدة لاجارة الشقيقة الحكومية للسر يا ويا وأبها حضرة صاحب السيادة لافز طريق الأول للمسلم كما في أشعة حضرتت اعزالي الأمام للمعزيين الرمديين عامة وأعضاء لجنة التسلط خاصة على ما عايناه من منسوق لرملة والرمان النارية.

كم كنا نشوق جميعا أن تكون جميع المؤتمرات الدولية مشابهة لاجتماع هذا الزحف في نشاطه اجتماع تسلام ونسود فيه روح الحبية : ويا ويا والتعاون الاجتماعى الصحيح فتستلزم الانسانية الخاتمة فقرة اجتماع السامعين زيا لافز فيميشوا جميعا بسلام وهذا وسادة ورحا

أتمنى من جميع القادة بوضع المؤتمرين حياة طبية مقرونة بالصحة والسرور في عودتهم إلى بلادهم وأمل أن يتبع في الدورة القادمة والجميع منتدون بالصحة العامة والتشاط اكتمل.

الملحق رقم (٢) مجلة الرابطة العربية لصاحبها أمين سعيد العدد: (٨٠) السنة الثانية - القاهرة الأربعاء ١٩ شوال ١٣٥٦هـ - ٢٢ ديسمبر ١٩٢٧م - الصفحة (٣٠)



الملحق رقم (٤) الاحتفاء بقدوم الدكتور الشواف إلى بلده حماة . والجالسون من اليسار إلى اليمين المجاهد سعيد الترماني والمجاهد محمد سعيد الزعيم ثم الدكتور الشواف ثم الشيخ صالح سلطان ثم نجيب آغا البرازي ثم الدكتور عمر الدلال

دع على احسن مثال

الطعام

هذه قائمة الغذاء

في الفاتحة الكبرى

نورانية وساج

نور وفتايل بر

اربع حمر ودهان

في سنة ١٠٢٠ ورونا

ول الزعيم

جريدة الكفاح - أمين سعيد العدد (١٠٣٩) السنة الخامسة
والمؤرخ في ١٦ شعبان ١٣٦٢ هـ - ١٧ آب ١٩٤٣ م الصفحة (٣)

الملحق رقم (٧)

الحاجة علم النور المذكوون
التي أصبحت مرتبطة بشواهد

ومن قصة ليس بين

دين الاقضية

تم خلال في الحرب

في يوم التسمم الاكبر

في مساعدة الجرحى

في السنة الحالية

اقية من السنة المقبلة

فيات الكبرى شيك

في العيادة تفصل بين

النرى والاقتضية في مختلف المناطق

السورية - وذلك لتسهيل المواصلات

وبؤس التفتتات بين المدن السورية

كانت وسنكون هذه الشبكة خير عون

على تشجيع التجارة والمساعدة وخاصة

في تسهيل النقل والسباحة والا سطايف

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

بمبلغ

وسل صاحب النخبة الوزير البرياني
اموش العائلي السلاحي لاجل التبرع
ادواره سيرش يصبحه السيو لاسال
مستشار الشرطة الى مقره في دمشق
نهار امس وذلك لانتاج المجلس النيابي

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

قول وزعت مصلحة مراقبة السير

والاشارة المارات الكنتوك على هذه

التراتب لتتصرف بالاجور كما يريد

الملك كور على الصراف

قدم العاشية من حاء في طريقه الى

المدينة المنورة الدكتور البارح على

بلك الشواف رئيس صحة المدينة المنورة

فرحب به اصدقاءه الكثرين

والدكتور الشواف من حين تشييدنا

الوطنيين وقد هاجر الى الجازم في

سنة ١٩٢٦ عقب الحوادث المروعة

فاستقر في روميه بمقدمه بنته وحلته

فان نجما وابتلا وتقديرا وظل يرقى

في المناصب الطيبة حتى وصل الى

رئاسة صحة المدينة المنورة وهي من

اكر للنائب الصحية عندهم

فتكرر الترحيب بحضرته

وقد تلقينا من حضرة كالا الشكر

الاني :

اسباب اشعار اذرة عادت البلاد

الذرة لا لتحق بملي الجديد في المدينة

المنورة دون ان يتمكن من رد الزيادة

لاخواني الصكيين الذين شرفوني

بزيارتهم واحاطوني بكرمهم ووعايتهم

شكري الجزيل لحضراتهم وخاصة

اخواني في حاء ومصياي متمنيا لهم

الطيب البين في ظل اليريد الجديد

البارك واستودعكم الله تعالى

صديق في درعا

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في يوم ول جمعة

في اميركا

اشتهار (الكتاب الاميريكي) -

هنا ٢٠٠٠ كلو متر من التليب

ال الجديدة المستند من حقول

في نكاس الى ساحل المحيط

تعالى وقد وصل الى كليات

ال المنفعة من هذه الانايت الى

البا الفلة المنيرة

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

في السنة ١٠٢٠

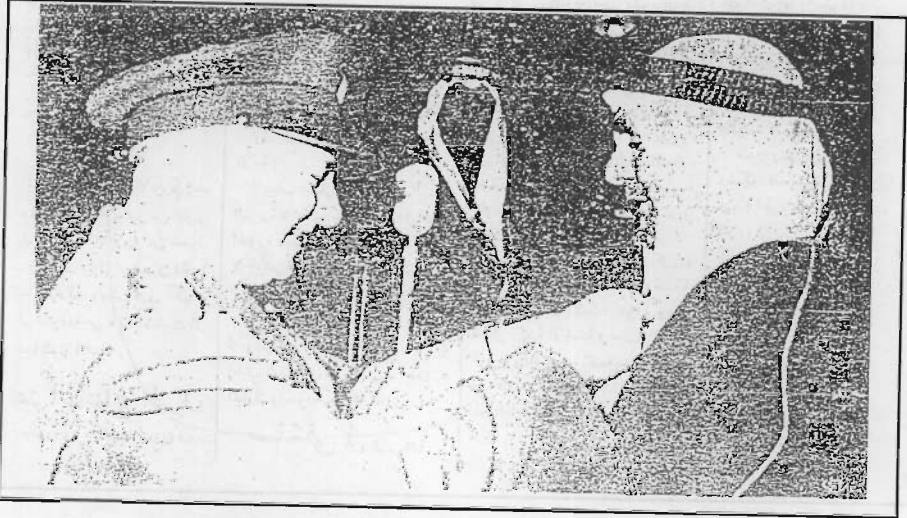
الملحق رقم (٥) جريدة الكفاح - أمين سعيد : العدد (١٠٣٩) السنة الخامسة

والمؤرخ في ١٦ شعبان ١٣٦٢ هـ - ١٧ آب ١٩٤٣ م - الصفحة (٣)

السنن: الحادية عشرة والثانية عشرة
العددان: الرابع والخامس والأربعون
ذو الحجة ١٤٢٩ هـ - ربيع الأول ١٤٣٠ هـ
ديسمبر ٢٠٠٨ م - مارس ٢٠٠٩ م



الملحق رقم (٦) صورة لبعض المتطوعين السعوديين، وينظر من اليسار المؤلف فهد المارك فالدكتور الشواف وفي الوسط السفير السعودي عبدالعزيز بن زيد. وعن يساره السيد إبراهيم بن خميس ومن خلف الجميع عدد من المجاهدين السعوديين، وقد أخذت هذه الصورة عند باب السفارة السعودية في دمشق، وذلك في مناسبة ذهاب نفر من المجاهدين إلى الجبهة لتوزيع البدلات التي بعثتها الحكومة السعودية للمتطوعين.



الملحق رقم (٧) الدكتور محمد علي الشواف يتقلد وسام الاستحقاق السوري بيد الرئيس فوزي سلو ويرى عن يمين الصورة ولي العهد السعودي سمو الأمير سعود بن عبدالعزيز